الجمهوريــة الجزائريــة الديموقراطيــة الشعبيــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جــامعة محمد خيضــر بسكــرة

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

قســم الأدب العربــي

الأربعون حديثا للشحامي من منظور لساني تداولي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي

إعداد الطالب :

• نصر الدين وهابي

إشراف الأستاذ الدكتور :

❖ محمــد خـــان

السنــة الدراسيــة 2004/2003

❁ الإهداء ❁

أرجو أن يتقبل من سأذكرهم هنا هذا العمل :

✓ من لست أدري كيف يبدأ الحديث عنه : جدي.

✓ من هما لي صديقان غاليان : والداي .

✓ من تملأ علي دنياي : زوجي.

✓ من هو خليق بكل نعوت الثناء : الأستاذ عادل محلو.

✓ من شجعوني ودعوا لي بالتوفيق مخلصين :

زملائي الأفاضل أساتذة ثانوية محمد العربي بن مهيدي .

نصر الدين وهابي ✍

❀ الشكـــر ❀

أشكركم يـــا:

✓ أستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور محمد خان، وجازاك الله كل خير.

✓ أساتذتي الذين كونوني في الدراسات العليا :

الأستاذ الدكتور محمد خان.

الدكتور بشير إبرير.

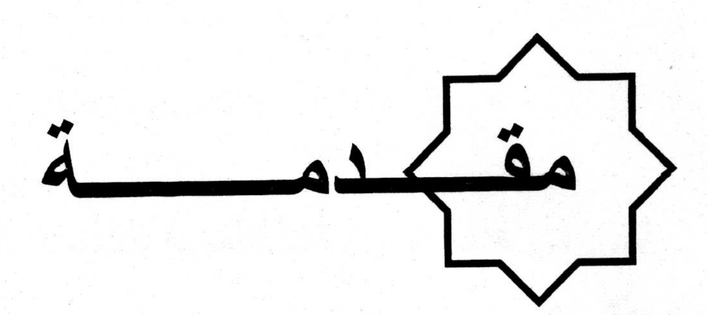
الدكتور بلقاسم بلعرج.

الدكتور بلقاسم دفة.

✓ أخوي الفاضلين : الأستاذين صلاح الدين والأمين ملاوي.

✓ أحبتي الأفاضل : الأساتذة جمال عاقلي، عبد الحليم زبدي، الطيب سبتي.

نصر الدين وهابي ✍


مقدمة

مُقدِّمة

ليس من هدف للدراسات اللغوية المؤمنة بالتحرك ضمن الإطار السوسيري، غير البرهنة على قابلية النشاط التواصلي الإنساني للقراءات العلمية المتسمة بالدقة و الانضباط و المنهجية، و المتجهة نحو التقنين و التصنيف ، لهذا تعين على كل نظرية في اللغة أن تعلن عن طبيعة منهجها، و أدواتها، طالما أن هدفها قد أصبح معلوما سلفا .

و قد رأيت بحوثا متأخرة تقدم التداولية على أنها نظرية في اللغة، لها أعلامها، و قاموسها الاصطلاحي، و فلسفتها التي تتجاوز حدود التنظيم و الصياغة المفاهيمية إلى مستوى التنفيذ الإجرائي التطبيقي، و زاد أن رأيت -في تقديري- أنها نظرية تسعى لأن تمس كل ما يمكن أن يكون له دخل- ولو بقدر- في صياغة العملية التخاطبية على نحو يضمن صورتها المثلى، أي وصول الرسالة بكيفية تحقق هدفها و مصلحتها المخطط لها بفعالية عالية.

هذا من جهة، و من جهة ثانية، رأيت أنها في جانبها التطبيقي تبتعد عن أن تختص بلغة محددة فحسب، و من هنا جاءت رغبتي في أن نتيح للعربية إمكانية البرهنة على استجابتها للتحاور مع مختلف النظريات التي يتوصل إليها الفكر اللغوي الغربي و من هنا أيضا، جاء اختياري للتداولية منهجا .

أما عن مدونة الإجراء فقد رأيت أن المنهج الدعوي الإسلامي إنما يعتمد في خطابه على تحقيق الكثير مما في فلسفة التداولية، و أهمه توفير الفعالية العالية لأجل التأثير ثم الاستجابة لمقتضى مبادئه، و هذه هي مصلحته المخطط لها .

و على الرغم من أن هذه ليست خصوصية للخطاب الدعوي الإسلامي، لكني آمنت أن نجاحه، على المستويين الزماني و المكاني في حياة البشر، إنما هو دليل على تلك الفعالية العالية، و من هنا وقع اختياري على لغة داعية هذا الخطاب الأول : رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فجاء الحديث الشريف مجال هذه الدراسة الإجرائي، و لكن حديث النبي صلى الله عليه و سلم بحر خضم ، فتعين من ثم- انتخاب نص حديثي يكون من الوجازة بحيث يسمح، في حده الأدنى بتغطية أهداف هذه الدراسة، فجاءت هذه الأربعون حديثا التي جمعها الشحامي و التي أبحت لنفسي - و قد لا أكون متجاوزا- نعتها بالأربعين الشحامية حملا على الأربعين النووية الشهيرة التي وقفت على أنها استهدفت بالدراسة من قبل طالبة بالدراسات العليا بقسم الأدب العربي بجامعة عنابة ، خصوصا و أني رأيت كتاب الأربعين الشحامية حديث العهد بالطباعة و النشر و قد عمد إلى تخريجها و تحقيقها عالم لنا من أهل باتنة .

قرأت نص الأربعين، فإذا هو يمس المسلم، عقيدة و أحكاما و أخلاقا، فرأيت أن التأليف بين شتاتها من قبل جامعها إنما كان لمصلحة إضافية، و هي الخروج بالصورة الكاملة للحياة الإسلامية، فرأيت مقصدا داخل مقصد، وهدفا ضمن هدف، أي إمكانية دراسة مقصد جامعها هي بعينها دون سواها من بين بدائل كثيرة من أحاديث الرسول الكريم، وهذا بعد مقاصد الأحاديث في حد ذاتها، أي مواضيعها المختلفة و المتنوعة، و من هنا جاءت الرغبة في إمكانية قراءة هذه الأربعين على أنها نموذج لقراءة الحديث النبوي الشريف تداوليا .

ثم إني رأيت مراجع تجعل من نظرية الأفعال اللغوية، أهم ما يمكن أن يرسم حدودا واضحة للبحث التداولي من خلال ما تقدمه من تصنيفات و تقسيمات اقترحتها على أدوات اللغة ، هذه الأدوات التي هي أفعال لغوية .

و أفعـال اللغـة Les Actes de Language تَصَوُّرٌ قَدَّمه للسانيات أوستين Austin و خطا به تلميذه سورل Searle خطواتٍ إضافية، و من هنا جاء تركيزي فـي هذا البحث على تصوري هذين اللسانيين الذين كادت تنحصر النظرية التداولية فيهما .

و كـان أن رأيت أيضا أن ما تركز عليه هذه النظرية من ضرورة الاهتمام بجمـيع محـددات العملية التخاطبية و عناصرها، يلقى قدرا غير هين من الاهتمام أيضا في درسنا البلاغي و النحوي التراثي الموروث، و من ثم قدرت أن ليس يكتمل هذا البحث إلا بإتاحة هذه المسألة، مسألة حضور اهتمامات التداولية في ما ورثنا من درس لغوي، موقعا خاصا .

و بعد :

فقد وجدتني – بموجب ما سبق ذكره – في مواجهة هذه المباحث :

1/ ما التداولية لغة واصطلاحا ؟

2/ ما المدونة المستهدفة بهذه الدراسة التداولية إجرائيا ؟

3/ ما هي منطلقات هذه النظرية و الفكرية و أصولها النظرية و مقارباتها و جذورها المفهومية، عربيا و غربيا ؟

4/ ما نظرية أفعال اللغة التي تعدها الدراسات المهتمة بالتداولية أهم ما فيها ؟ و لأي اعتبارات كان ذلك ؟

5/ كيف يمكن اعتبار الحديث النبوي –تطبيقيا– نصا تداوليا ؟

هـذا، و إن الصـورة المنهجية التي اعتمدتها للإجابة عن هذه الأسئلة كانت موزعة على مدخل و ثلاثة فصول، اثنين نظريين و ثالث تطبيقي :

سعيت في المدخل إلى :

- التعريف بالتداولية لغة واصطلاحا، محاولا في ذلك المقاربة بين الإطلاق اللغوي العربي للجذر (دول) و بعض من أفكارها و مفاهيمها العامة .

- التعريف بالمدونة، حيز التطبيق و التحليل، مؤلفا و مؤلفا .

وحاولت في الفصل الأول أن :

- أعبر عن توفر دراسات علمائنا الأولين، اللغوية و البيانية، على ما له صلة بالكثير مما تنادي به التداولية الغربية الحديثة انطلاقا من مفهوم البيان و مواصفات الإبلاغ الناجح، فعمدت في ذلك إلى الجاحظ و الجرجاني و القرطاجني و السكاكي، و بعض أفكار النحاة.

- أشير إلى المنطلقات و الأسس الفلسفية و الفكرية الغربية التي أسست لبروز الرؤية التداولية، و كذا الممهدات اللسانية لظهورها فانطلقت من إشارة سوسير إلى السيمياء التي انبثق عنها الدرس التداولي، مرورا بمفهوم الدليل البيرسي و من تلاه من لغويين وصولا إلى أوستين وسورل

و عمدت في الفصل الثاني إلى أن :

- أركز على تصوري أوستين وسورل على قاعدة أنهما صاحبا إضافة ذات خطر للبناء التداولي من خلال خروجهما بنظرية أفعال اللغة المعبر عنها بتصنيفات أو تقسيمات لتلك الأفعال تتيح إمكانية التعامل التطبيقي مع النص .

- و ختمت بفصل ثالث، أفردته للتحليل الإجرائي لنصوص الأربعين وفقا لتقسيمي أوستين وسورل مركزا - في حدود فهمي- على الأدوات المشكلة لبنية كل حديث من أفعال وتراكيب و أساليب، تشكيلا جاريا على ما يحقق التأثير و الإقناع المعبر عنهما في لغة التداولية بـ (تحقيق المصلحة) .

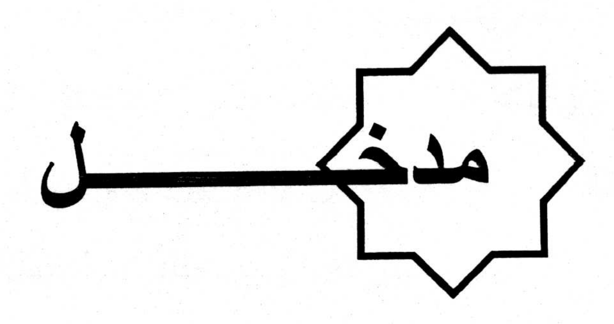
و أمـــا منهجي فتطبيق التداولية، و أجرأة تصنيفاتها و تحليل الأحاديث على ضـــوئها، هذه الأحاديث التي كانت المصدر الأول لمادة هذا البحث، و قد أحالتني علـــى جملـــة مـــن الكتب و الدراسات المهتمة بالسنة النبوية من الوجهة البلاغية و اللغوية ، لعل أهمها (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية) للدكتور عز الدين علي السيد .

أمـــا الفصـــلان النظريان، فقد أحالاني على مراجع أفدت منها في جانب البحث عن المفاهـــيم التداولـــية في الدرس اللغوي البياني العربي القديم، فكانت لأهم لغويينا و بلاغييـــنا القدامى كالبيان و التبيين للجاحظ، و منهاج البلغاء للقرطاجني و خصائص ابن جني و ما تناولها بالدرس من كتب للمحدثين .

واعـــتمدت عليها في جانب التأسيس النظري الغربي لهذه النظرية فأفدت من مـــراجع ككـــتاب introduction a la linguistique Contemporaine. لجاك موشلار و أنطوان أوشلان و كتاب (المقاربة التداولية) لفرانسواز أرمينيكـــــــــــو وكتـــــــاب La conversation لكاترين أوريكيوني و ما اتصل بذلك من مراجع تناولـــت التدوالـــية بالتعريف، في سياق عرض مختلف النظريات اللسانية الأخرى المجـــاورة لهـــا ككـــتاب (اتجاهات البحث اللساني) لميلكا إفيتش و بعض المقالات المنشورة في غير ما مجلة كمجلة (الفكر العربي المعاصر).

و إلـــى هنا، تجب الإشارة إلى ما اعترضني من تعذر الوصول إلى مراجع كثيرة الأمر الذي جعل الحصول على التصور الواضح و التمثيل الدقيق لهذه النظرية صعبا بل على قدر غير هين من الصعوبة، مع المراجع الفرنسية التي حصلت عليها والتي اضـــطرتني إلى الاجتهاد في الترجمة ، لذلك كله أخشى أنني قد دنوت إلى ما لست من أهله، و ما طفقت أطلبه ببضاعة معرفية مزجاة .

و بعد فأوجه شكرا خالصا لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، و لو بدعـــوة توفيق، و أما أستاذي الدكتور محمد خان فله الحصة اللائقة بمقامه الأخلاقي والمعرفـــي من الشكر ، فقد أمدني بما لست أحصيه من إضاءات علمية و توجيهات معرفية لا أحسبني كنت في غنى عنها .



1. التداولية: لغة واصطلاحا.

2. التعريف بالمدونة.

أولا : التعريف بالتداولية لغة واصطلاحا :

رأيت من المستحب لمن اصطفى التداولية منهجا لدراسة يطبقها على مدونة من المدونات، أن يقدم بين يدي دراسته ما من شأنه أن يغدو موطئا لفهم منهجه، وآليات تحركه، ومصطلحات منطقه، ولعل النظر في الأصل اللغوي الذي نبعت منه تسمية منهجه – أي التداولية – لمما له خطره في مزيد الإيضاح، إذ أن في انتخاب تسمية من جملة بدائل كثيرة تقدمها إمكانات اللغة عملية ما كانت إلا لمقتضى من المقتضيات، ولعل هذا المقتضى المنظور إليه أن يسهم في تقديم المبرر العلمي للجانب الاصطلاحي فيما بعد، وبعد :

1.1. التداولية لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور:

« دول : الدولة والدولة : العقبة في المال والحرب سواء، وقيل : الدّولة في المال والدَّولة في الحرب، وقيل هما سواء فيهما، يضمان ويفتحان، وقيل : بالضم في الآخرة وبالفتح في الدنيا، وقيل : هما لغتان فيهما والجمع دول ودول.

الدَّولة : أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال : كانت لنا عليهم الدولة، والجمع دول، والدّولة في المال، يقال : صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دولات ودول، وقال أبو عبيد : الدّولة اسم للشيء الذي يتداول به بعينه، والدولة بالفتح الفعل وفي حديث أشراط الساعة : إذا كان المغنم دولا، جمع دولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وفي حديث الدعاء: حدثني بحديثك سمعته من رسول الله لم يتداوله بينك وبينه الرجال أي لم يتناقله الرجال وترويه واحدا عن

واحد، وإنما ترويه أنت عن رسول الله –ص-... وتداولنا الأمر أخذناه بالدول ... وقولهم دوليك أي تداولا بعد تداول »[1].

تكاد هذه الإحالات اللغوية أن تتيح للمفاهيم التداولية في مبادئها العامة أن تسجل حضورها في تضاعيفها، فالإحالة على أن في (الدولة) تناوبا على المال ونزاعا عليه، ووقوعه في يد تارة، وفي ثانية أخرى، تأسيس لوجود طرفي التداول (المرسل والمتلقي) وإن لم يكن في نية الواحد منهما أن يصيره، أي المال هنا، في يد الآخر، ولكن مبدأ التنقل حاصل لزاما، أي تنقل المال من جهة إلى جهة غيرها.

وأما مبدأ المقصدية Intention الذي معناه مراعاة ما ينويه المتكلم ويستهدف إيصاله إلى المتلقي من معنى محدد، فيمكن الوقوف عليه في قول أبي عبيد : « الدولة : بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه» .

وفكرة المواضعة الموطئة لتحقيق التداول، فيمكن أن تستشف من حديث الدعاء الوارد في : (حدثني بحديث سمعته من رسول الله –ص- لم يتداوله بينك وبينه الناس) وذلك من خلال الإيمان غير المعلن بأن الناس تواضعوا على لغة الحديث الذي يعنيه طالبه هنا، وإن لم يكن ذلك واقعا، أي ليس هذا الحديث المطلوب مما سرى في الناس فيتداولوه، إذ لو حدث به أحدهم لدفعه الناس لعدم التواضع عليه.

---

[1] لسان العرب،مادة (دول) 301/11.

1.2. التداولية اصطلاحا :

- يقدم قاموس اللسانيات لجون ديبوا Jean Dubois تعريفا بمصطلح (Pragmatique) (التداولية) على هذا النحو :

(مظهر يبدو من خلال استعمال الخطاب وفق خصائص ما، من مثل المحفزات السيكولوجية للمتخاطبين وردود أفعال المتلقين، واجتماعية الخطاب، ومراميه ... في مقابل مظهره النحوي والدلالي)[1].

- كما نقف في قاموس العالمين (كريماس) (Greimas) و(كورتس) (courtes) على أن المصطلح يحيل على مافيه نظر في الطريقة التي يتحقق بها الخطاب والتأثير المتبادل بين المتخاطبين[2].

- وجاء في (petit larousse) أن (pragmatique) تدل على :

الميدان الذي يدرس إمكانات استعمال اللغة من قبل المتخاطبين في وضعية إتصال، وكذا شروط هذه الوضعية التواصلية[3]

وبإدخال اللاحقة (isme) الدالة على المذهبية تدل (pragmatisme) على : المذهب الذي يأخذ القيمة العملية معيارا للحقيقة[4].

- أما قاموس (Les termes clés de la liguistique) الذي وضعه-Marie Noëlle Gary-prieur فيشير مباشرة إلى عمل السيميائي شارل موريس charles Morris المندرج ضمن إطار إضافته للرؤية التداولية، لا إلى شرح مباشر للمصطلح [5].

---

(1) Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P 288.

(2) Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, P 288.

(3) **pragmatique :** domaine qui étudie l'usage que peuvent faire de la langue, des interlocuteurs en situation de communication ainsi que les conditions de celle-ci. Petit larousse. Paris. Edition 1987, P734

(4) **Pragmatisme :** doctrine qui prend pour critère de la vérité la valeur pratique. Petit Larousse, P734

(5) Les termes clés de la linguistique, collection Mémon, N°123 , PARIS 1999, P44.

وهو مصطلح يحيل على درس حيوي يهتم« بدراسة العلاقات الموجودة بين الدوال ومستعمليها »[1]، وقد جاء نعته في كتاب (المقاربة التداولية) لأرمينكو Armenégaud على أنه درس يسعى إلى الإجابة عن أسئلة كنحو :

- ماذا نصنع حين نتكلم؟
- ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟
- لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بمايونيز الثوم بينما يظهر أن في إمكاننا ذلك؟
- فمن يتكلم إذن، وإلى من يتكلم ؟
- من يتكلم ومع من يتكلم؟
- من يتكلم ولأجل من؟
- ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟
- ماذا يعني الوعد بالشيء ؟
- كيف يمكننا قول شيء آخر غير ماكنا نريد قوله؟
- هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟
- ما هي استعمالات اللغة؟
- أي مقياس يحدد قدرة الواقع الإنساني اللغوية [2]؟

إن التداولية علم على بحث يسعى للإجابة عن هذه الأسئلة، وهي بذلك تعبر عن اهتمامها بمبدإ يندرج ضمن اهتمامات غير قليل من النظريات المشتغلة بتحليل الخطاب، هذا المبدأ هو (الانسجام) أي ذلك التلاحم والاتساق بين الوحدات اللغوية ألفاظا وجملا وحروفا، مما له تأثير على دلالة النص ورسالته .

---

(1) CATHRINE ORECCHIONI, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, P 185.

(2) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 11.

وفي هامش ثري لخولة طالب الإبراهيمي ذيلت به فصلا يعني لسانيات الخطاب، ما يفيد أن الأستاذ أحمد المتوكل، الأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط بالمملكة المغربية، هو أول من استعمل هذا المصطلح في اللغة العربية الذي يقابل في الفرنسية (Pragramatique) وأنه –من ثم– أصبح مصطلح التداولية متداولا مستساغا شائعا من بعد استحسان له.[1]

ولكن من الدارسين من ليس يرى في مصطلح التداولية هذا دقة في الإحالة على المقصود، كنحو ما ذهب إليه الدكتور محمد محمد يونس علي في مقال له عن أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة : « أفضل ترجمة مصطلح pragmatics بعلم التخاطب وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللغويين العرب، توهما منهم بأنهما pragmatics و pragmatism شيء واحد، والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرفي وهو "علم الاستعمال"... ولذا فإن ترجمة pragmatics بعلم التخاطب أنسب – في رأيي – من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن. أما pragmatism فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعا، ما لم تكن لها تطبيقات عملية» .[2]

ولعل ضرورة الالتزام بالحقل المعرفي هو ما جعل صاحب هذه القناعة يدعو ولو ضمنيا، إلى الفصل بين براغماتية اللسانيين و براغماتية الفلاسفة، ولكن هذا قد يورطنا في الاعتقاد بأن لا صلة بينهما، والحقيقة غير ذلك، وسيأتي في سياق الحديث عن تصور أوستين محاولة في الكشف عن هذه الصلة، بل ربما كانت

---

[1] مبادئ في اللسانيات ، ص 176 .

[2] أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، المجلد 32 ، 1 يوليو، سبتمبر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص 173.

صلتها المؤكدة بالبراغماتية الفلسفية الأمريكية هي ما اضطر الباحثين إلى توسيع دائرة الحديث عن البراغماتية اللسانية إلى الوعاء الفلسفي الكبير، تقديرا منهم أن في ذلك أكثر تفسيرا لها، وفهما لمبررات وجودها.

هذا، وتتوافر مراجع بين يدي على شيء من التفصيل في الشرح الاصطلاحي، وإن يكن في الفصل اللاحق مجال أرحب لاستيعابه، - أي فصل الأصول والمقاربات - إذ المهم أنه مصطلح غدا يطفو على أغلفة دراسات في صيغة عناوينها من نحو كتاب : (الوظائف التداولية في اللغة العربية) للأستاذ أحمد المتوكل، وذلك سنة 1985 [1]

ثانيا : التعريف بالمدونة :

1.1. الشحامي : هو أبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر بن محمد، النيسابوري، الشحامي، أما النيسابوري فنسبة معروفة إلى نيسابور، وأما الشحامي، فإني وقفت على أن السيوطي يعزوها في كتابه " لب اللباب في تحرير الأنساب" إلى بيع الشحم، يقول : « الشحام : إلى بيع الشحم، وكان الشحامي مثله» [2]

ولد سنة خمس وسبعين وأربعمائة، فهو من علماء المائة الخامسة، وتحديدا كان مولده في يوم السبت، الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة بنيسابور.

. ولكن محقق الأربعين، يشير في مصادره إلى ترجمة للشحامي في كتاب " شذرات الذهب " لابن العماد (153/4) لكني عند العودة إليه وجدتها لآخر وليس صاحب الأربعين، ووجدت الذهبي يذكر في كتابه " سير أعلام النبلاء"

---

(1) سعيد علوش، انظر المقاربة التداولية، الفكر العربي المعاصر، ص 60.

(2) لب اللباب في تحرير الأنساب، ص 238.

(227/20) هذا الذي أخطأ فيه المحقق على أنه عالم آخر مات معه في السنة نفسها .

يحدثنا الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن علمه فيقول : « سمع من جده وعثمان بن محمد المحمي، وأبي بكر بن خلف و... وعدة »[1].

وجاء في المصدر عينه عن أخلاقه : « كان ثقة صدوقا ... ».

وفقد سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وللشحامي تراجم في : سير الذهبي (254/20) وتاريخ ابن خلدون (137/4) ودول الإسلام (66/2) والنجوم الزاهرة (319/5) وشذرات الذهب (153/4).

2.1. الأربعون :

أشار الذهبي إلى أربعين الشحامي فقال : « له " أربعون" و" أربعون" سمعناهما».

ولم أقف على معنى محدد لتكرار " أربعون" إلا أن يكون للشحامي أربعونان، وإما تعبيرا عن صيغة عنوان الشحامي (أربعون عن أربعين عن أربعين)، ولكن قوله في معرض الحديث عمن أخذ من أربعين الشحامي : « أخرج من كل منهما حديثا صاحب كتاب (الأربعون من أربعين) وهو البكري » قد يقضي بأن للشحامي أربعينين.

- سبب جمعها :

جاء في مقدمة أربعين الشحامي قول صاحبها : « فقد سلف مني جمع أربعين حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أربعين شيخا من مشايخي الذين أدركتهم وسمعت منهم، ورجوت بذلك الدخول في الزمرة الذين

---

[1] سير أعلام النبلاء، 254/20.

ورد فيهم الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ أربعين حديثا عن أمته » [1].

ففي كلامه إشارة إلى السبب الذي حمله على جمعها، وهو الرغبة في دخول زمرة من عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « **من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء** » [2].

على الرغم من أن العلماء العارفين بالحديث جرحا وتعديلا، دراية ورواية، نصوا على أنه لم يصح منه شيء، وسيعده النووي المتوفى سنة 676 هـ بعد الشحامي ضعيفا اتفاقا.

محقــق الأربعين ومخرجها :

هو أبو عبد الرحمان بن عيسى الباتني، وقد اجتهدت في البحث عما يفي بالتعريف به فما عدت بشيء، ويشير في مقدمة تحقيقه إلى أنه وقف على نسخة للأربعين الشحامية مخطوطة ضمن مجموع محفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق، فعمل على تحقيقها تعميما للنفع، ولكنه اشتغل بتخريج أحاديثها، فوقف على أن الصحيح منها واحد وعشرون حديثا، وتسعة عشر تدرج ضمن ألقاب (المتروك والمنكر والباطل والموضوع والغريب) ، وهذا جدول، أكشف فيه عن تخريج الأحاديث بألقابها :

---

(1) أربعون حديثا، ص 22.

(2) النووي، شرح الأربعين النووية، ص02.

الحديـــــث	لقبـــــه
الحديث الأول	منكر
الحديث الثاني	باطل
الحديث الثالث	صحيح
الحديث الرابع	موضوع
الحديث الخامس	صحيح
الحديث السادس	صحيح
الحديث السابع	غريب
الحديث الثامن	صحيح
الحديث التاسع	ضعيف
الحديث العاشر	ضعيف
الحديث الحادي عشر	ضعيف
الحديث الثاني عشر	ضعيف
الحديث الثالث عشر	ضعيف
الحديث الرابع عشر	ضعيف
الحديث الخامس عشر	صحيح
الحديث السادس عشر	صحيح
السابع عشر	باطل موضوع
الثامن عشر	صحيح
التاسع عشر	غريب
العشرون	صحيح

الواحد والعشرون	ضعيف
الثاني والعشرون	ضعيف
الثالث والعشرون	صحيح
الرابع والعشرون	صحيح
الخامس والعشرون	متروك
السادس والعشرون	ضعيف
السابع والعشرون	صحيح
الثامن والعشرون	منكر
التاسع والشرون	صحيح
الثلاثون	صحيح
الواحد والثلاثون	غريب
الثاني والثلاثون	صحيح
الثالث والثلاثون	صحيح
الرابع والثلاثون	صحيح
الخامس والثلاثون	صحيح
السادس والثلاثون	صحيح
السابع والثلاثون	صحيح
الثامن والثلاثون	صحيح
التاسع والثلاثون	ضعيف
الأربعون	صحيح

فهذه هي أحاديثه الأربعون، وأما شيوخه الأربعون فهم:

(أ)

1- أحمد بن الحسن بن علي بن عمرويه العمروي الحاكم أبو منصور.

2- أحمد بن سهل بن محمد السراج أبو بكر.

3- أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن خلف الشيرازي أبو بكر.

4- أحمد بن محمد بن إسماعيل الشجاعي أبو الحسن.

5- إسماعيل بن الحسن بن علي الفرائضي الخطيب أبو القاسم القاضي.

6- إسماعيل بن أبي سعد بن عمر الإبريسمي أبو عثمان.

7- إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي أبو عبد الله.

8- إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعيد الساوي أبو القاسم.

(ح)

9- الحرة ستي بنت الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمان الصابوني.

10- الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم السمرقندي الحافظ أبو محمد.

(خ)

11- خلف بن طاهر بن محمد الشحامي أبو نصر.

12- زاهر بن طاهر بن محمد العدل.

13- سعيد بن محمد بن جعفر بن إبراهيم الأسد آباذي الصوفي أبو سعد.

(ش)

14- شافع بن علي بن أبي الفضل الطريثيثي أبو الفضل.

(ط)

15- طاهر بن محمد بن محمد المستملي أبو عبد الرحمن.

(ع)

16- عبد الباقي بن يوسف بن علي المراغي أبو تراب.

17- عبد الجبار بن سعيد بن محمد بن أحمد بن البحتري أبو نصر.

18- عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواحدي أبو القاسم.

19- عبد الكريم بن علي بن أحمد بن محمد بن خشنام الأديب أبو نصر.

20- عبد الله بن الحسين بن هارون الوارق أبو نصر.

21- عبد الملك بن عبد الله بن محمد الدشتي أبو سهل.

22- عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أبو سعيد.

23- عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حسكويه أبو سعيد.

24- عثمان بن محمد بن عبيد الله المحمي أبو عمرو.

25- علي بن أحمد بن محمد الفارسي أبو الحسن.

26- علي بن أحمد بن محمد المديني الزاهد أبو الحسن.

(ف)

27- الفضل بن أحمد بن محمد الجرجاني أبو القاسم.

28- الفضل بن أحمد بن محمد الساعدي أبو مسعود.

29- الفضل بن عبد الواحد بن عبد الصمد أبو العباس.

(م)

30- المبارك بن محمد بن عبيد الله الواسطي أبو الحسين.

31- محمد بن إسماعيل بن محمد السري بن بنون التفليسي أبو بكر.

32- محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن البالوي أبو إبراهيم.

33- محمد بن عبيد الله الصرام الزاهد أبو الفضل.

34- محمد بن مأمون بن علي المتولي أبو بكر.

35- محمد بن محمد بن أحمد بن هميماة الرامشي أبو نصر الرئيس.

36- مسعود بن سعيد النيلي المتطبب أبو الفضل.

37- موسى بن عمران بن محمد الأنصاري الصوفي أبو المظفر.

(ن)

38- نصر بن الحسن بن قاسم الشاشي التاجر أبو الفتح.

39- نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي أبو علي.

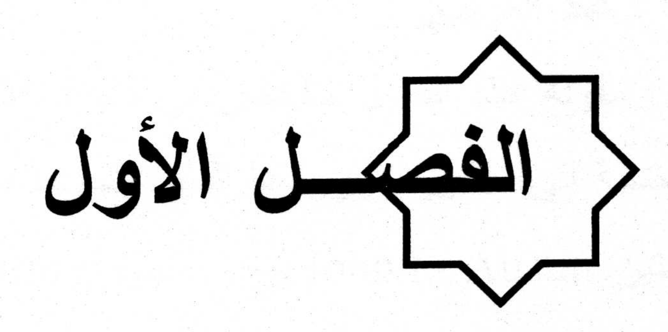
(هـ)

40- هبة الله بن محمد بن حيدر بن محمد بن فنجويه القرشي أبو السنابل.

وأما الصحابة الأربعون، فهم هؤلاء مع الأحاديث المروية عنهم:

رقم الحديث	المخرج	رقم الحديث	المخرج
01	أبو بكر الصديق	21	شداد بن أوس
02	عمر بن الخطاب	22	أبو برسزة
03	عثمان بن عفان	23	عبدالله بن مسعود
04	علي بن أبي طالب	24	عمران بن الحصين
05	طلحة بن عبيد الله	25	أبو الدرداء
06	الزبير بن العوام	26	جابر بن عبد الله
07	سعد بن أبي وقاص	27	حذيفة بن اليمان

08	سعد بن زيد	28	سلمان الفارسي
09	عبد الرحمن بن عوف	29	عوف بن مالك
10	أبو عبيدة بن الجراح	30	جرير بن عبد الله
11	عبدالله بن عمرو بن العاص	31	أسامة بن زيد
12	عبد الله بن عمر	32	كعب بن مالك
13	عبدالله بن عباس	33	أبو قتادة
14	أنس بن مالك	34	النعمان بن بشير
15	زيد بن أرقم	35	أبو موسى الأشعري
16	أبو هريرة	36	أبو ذر الغفاري
17	سهل بن سعد	37	أبو سعيد الخذري
18	ربيعة بن كعب الأسلمي	38	جابر بن سمرة
19	بريدة بن الحصيب	39	البراء بن عازب
20	المغيرة بن شعبة	40	جبير بن مطعم



الفصل الأول

التداولية: أصول ومقاربات

أولا : عند الغربيين :

مقولة هذا الفصل تتلخص في وجوب التأسيس النظري لمفاهيم التداولية المفضية إلى تصورات روادها الذين منحوها بعدها الإجرائي فيما بعد كـ ج.ل أوستين John.L. Austin وج. ر.سورل John Searle ، بل لعلهما من أبرز الأسماء التي يمكن أن تعتمد في هذا المضمار، دون إغفال حقيقة تاريخية تضع ش.س. بيرس Pearce موضع المؤسس لهذا التوجه نحو التداولية، من خلال فكرته حول الدليل وأبعاده الثلاثة.

يقول الجيلالي دلاش في مدخله للتداولية : « لقد كان للعالم السيميائي ش.س بيرس اليد الطولى في المنعطف الحاسم الذي حصل صوب اللسانيات التداولية»[1].

وهو ما آمنت به خولة طالب الإبراهيمي أيضا في كتابها في اللسانيات، وقولها هذا يترجم إيمانها ذاك : « وحقيقة القول أن إرهاصات أولية ظهرت أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن مع دعوات بيرس الذي عاصر دي سوسور ... دعواته إلى تناول الدليل اللغوي في أبعاده الثلاثة حتى وإن كانت في الواقع موجودة مجتمعة في كيان واحد، فإن ضرورة التحليل تقتضي فصلها للدراسة» [2]، وقد ذهبت إلى هذا في سياق توطئتها النظرية للسانيات الخطاب.

ولعل البحث في التداولية على أنها حقل لساني أن يضطرنا إلى جذورها داخل الأطر اللسانية بالمفهوم السوسيري، ومن ثم، فإن سوسير Saussure يترأس قائمة الباحثين فيها من حيث كونه صاحب تلك النبوءة بميلاد المجال العام الذي تتحرك داخله التداولية، إن المجال المشار إليه ليس غير :

---

(1) مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 8.

(2) مبادئ في اللسانيات، ص 158.

(السيمياء)، يقول سوسير : «اللغة نظام إشاري يعبر عن الأفكار ... وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي وبالنظام الألفبائي للصم البكم وبالنظام الإشاري العسكري وبالنظام الإشاري النقشي ... إلخ .

إن العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن أن يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبهذا سوف أدعو هذا العلم سيميولوجيا (Sémiologie) هذا العلم يستطيع أن يبين بنية الإشارات ويبين بالتالي الأنظمة والقوانين التي تحكمها، وما دام هذا العلم غير قائم فلا أحد يستطيع أن يعرف ماهيته، ولكن على أية حال، إنه في سعي دائب لتحقيق وجوده، وذلك منذ أن ضربت أوتاده مسبقا» [1].

إن هذه النبوءة ستفتح المجال لمعاصره شارل ساندرس بيرس Pearce ليقدم إسهاما له خطره ولا يمكن إغفاله في معرض الحديث عن مكونات المقاربة التداولية، ويمكن اختزال إسهام بيرس في مسألة مفهوم الدليل لديه، وإذن :

- ما الفكرة البيرسية عن الدليل ؟
- وما المراد بأبعاده ؟
- وكيف للتداولية أن تقع موقعها في ذلك كله ؟

سأسعى إلى الإجابة عن هذه الأسئلة سعيا يستهدف التأسيس لفهم تصوري أوستين وسورل اللذين سيتم التركيز عليهما لاحقا، ولأنهما المعتمد النظري في التحليل التداولي لنصوص الأربعين الشحامية من منظور إجرائي تطبيقي.

---

[1] بيير جيرو، علم الإشارة، السيميولوجيا، ص 13.

الفكرة البيرسية عن الدليل :

لم تحل معاصرة بيرس Pearce (1839م – 1914م) لسوسير دون تجاوزه لمفهومه حول الدليل، هذه المعاصرة التي أتاحت له في المقابل أن يسعى في تطوير الفكرة السيميائية، إذ يعتبر سوسير أول من جعل السيمياء هما من الهموم اللسانية[1]، وإن اعتبر العالم الأمريكي موريس Charles Morris المهيكل الحق لهذا العلم لدى بعضهم، والذي اقترح على اللغويين تقسيم المباحث السيميائية إلى ثلاثة حقول (المقاماتية أو البراغماتية، وعلم الدلالة وعلم التراكيب)[2].

والبراغماتية تحيل على الاهتمام بوسائل التواصل بعلاقتها بالإنسان، فسيمياء موريس ستغدو أمّا للتداولية بمقتضى توافرها على مؤسساتها من خلال النظر في البعد الاستعمالي للدليل والذي أقصاه سوسير، إن فرانسواز أرمينكو آثرت أن تنطلق في تمهيدها للحديث عن مقاربات التداولية من عنونة فصل لها بـــ (تأسيس السيميائية) فهي بعد هذا **الجامع اللساني**[3].

لذلك كان للجيلالي دلاش أن يعد هذه البراغماتية منبعا من منابع أربعة مكونة لهذا التخصص : اللسانيات التداولية[4].

وكيما أنصرف عن تصور بيرس منصرفا بعيدا، أقول :« إنه يدعو إلى اعتبار إحالة الدليل على واقع ما إنما تنبني على رصد مجموعة من العادات، وليست العادة إلا مميزا لطريقة الاستخدام على نحو متواضع عليه اجتماعيا مع وجوب

---

(1) ميلكا إيفتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 351.
(2) المصدر نفسه، ص 352 ، وانظر : Marie-noëlle Gary-Prieur, Les termes clés de la linguistique, P44
(3) أرمينكو ، المقاربة التداولية، ص 25.
(4) مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 4-5.

النظر في ظروف الاستخدام وحيثياته، الظـــروف الحاصلـــة أو المحتملـة الحصول»[1].

فلا مندوحة بعد هذا عن اعتبار الدليل شيئا معقدا بالنظر إلى كونه مركبا من أبعاد ثلاثة، تشكل بانصهارها مجتمعة كيان الدليل.

أبعاد الدليل :[2]

1. **البعد التركيبي** : ويتحقق فهمه من خلال اعتبار الدليل شيئا مجردا كامنا في ذاته، لا يختص بالإحالة على شيء محدد، فالبياض قبل إحالته على السلام أو غيره هو شيء ينتمي إلى المجرد المطلق.

2. **البعد الدلالي** : وتترجمه علاقة الربط بين الدليل وما يدل عليه، ومن ثم فهو بعد دلالي إحالي معنوي.

3. **البعد التداولي** : وهو الذي يجعل من الدليل قانونا عاما صالحا لاستعماله استعمالا تأويليا عرفيا[3].

إنه ينبغي الانتباه إلى أن هذا ليس يعدو كونه شرحا من شروح للفكر البيرسي في هذا الطرح، إذ في الإمكان الوقوف في مظان أخرى على شرح مباين، وذلك كالآتي :

الدليل في التصور البيرسي سيرورة سيميائية، انصهار علائمي بين أبعاد ثلاثة مكونة للدليل : أول الثلاثة: التمثيل وثانيها: الموضوع وثالثها: المؤول، فالدليل يمثل موضوعا سيغدو مؤولا لآخر كدليل له وهذا لآخر، وهكذا إلى ما لا نهاية.

---

(1) المصدر نفسه، ص 8.

(2) بعض الباحثين يسمي هذه الابعاد مقولات بيرس العامة، انظر مثلا : مبارك حنون ، دروس في السيميائيات ، ص 43 .

(3) مبادئ في اللسانيات، ص 159.

أو على آخر مثل انطلاق السيمياء عنده من تركيب ثلاثي للعلامة، أي من :

- الماثول représentamen أي الدال.
- الموضوع objet أي الأمر الخارجي.
- التعبير interprétent أي الصورة الذهنية التي تصدر عن المعبر.[1]

إن هذا لمما عده جاك دريدا أيضا تحولا ذا خطر عن الفكرة السوسيرية في مفهوم الدليل[2].

وليس يغدو بيرس صاحب التصور الوحيد للدليل، بل سيتاح الأمر لاسم آخر يسعى مسعاه، إنه موريس.

لعل العالم الأمريكي موريس Morris يكون ذا تصور خاص تال لبيرس ويمكن التعبير عنه بما يلي :

إن النظر البيرسي للدليل على أنه :

1. يؤول فكرة.
2. يدل على الشيء يقوم بتأويله.
3. موضوع على نحو معين يربطه بمدلوله [3].

لهو نظر لا يخلو من تضييق لمفهوم الدليل من حيث عدم توفره على صورة منتظمة، وهي التي صاغها موريس. فالجانب الحسي المادي للناقلات والأشياء المراد الإحالة عليها ومجموعة المؤولات المؤسسة للعملية التداولية، يمكن للكل أن ينتظم من خلال أربعة عناصر :

1. الناقل وهو عنصر أول.
2. الموضوع المراد الإحالة عليه، وهو ثان.

---

(1) انظر : عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، ص 14.

(2) أنور المرتجى، سيمياء النص الأدبي، ص 4.

(3) انظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص ~~11~~. 09

3. التأثير الذي يحدث لدى المستقبل، وهو ثالث.

4. المؤولات وهي عنصر رابع[1].

وانصهار الأربعة في شكل غير تسلسلي ضروري هو ما يسميه : (السيرورة السيميائية).

إن موريس يدعو إلى اعتبار الدليل، في حركته، يمارس سلوكا داخل وضع يحركه ويتحرك به، والبعد التداولي يتحقق بإدراك العلائق بين جميع هاتيك العناصر كلها، فالإحالة على المسميات ما هي في حقيقتها إلى دعوة إلى تبني سلوك ما من قبل المتلقي، والدليل بعناصره المنصهرة ليس يدعو إلى أكثر من تعبير عن رد فعل ما، وآية ذلك أن جملة مثل :

– سيتم إدخالك السجن فورا.

تفرض أن يقوم المتلقي باستجابة من نوع معين كالذعر أو البكاء أو حتى الفرار.

وبعد، فإن موريس يضع أصبعه على البعد السلوكي للدليل، وهو ما يكاد يقتصر عليه في انحرافه عن تصور بيرس الذي جعله يصل إلى أن التداولية : **علم يعالج علاقة العلامات بمؤولاتها**، وهذا هو التعريف البدائي للتداولية، فهي تعالج مظاهر حياتية **للسيميوزيس Semoisis** أي مجموع المظاهر السيكولوجية والبيولوجية التي ترتبط بعمل العلامات[2].

هذا، وإن بوهلر Buhler، عالم النفس اللغوي، الألماني، يكاد يصب في المصب عينه لموريس، وإن باختلاف على مستوى الصيغة، والأهم أنه لا يعتقد

---

(1) المصدر نفسه، ص 10-11. وانظر : Marie- Noëlle Gary-Prieur, Les termes clés de la linguistique, P44

(2) المقاربة التداولية، ص 41.

في تصور سوسير للدليل النجاعة والفاعلية الحقة فقدم اقتراحه البديل الممثل في وظائف الدليل الثلاثة :[1]

1. وظيفة التمثيل : حيث لا يدعو الدليل إلى أكثر من مطابقته للمدلول عليه في صورته دون مزيد كلغة الرياضيات، ولذا فهي وظيفة وصفية.

2. وظيفة التعبير : حيث يدعو الدليل إلى تجاوز تحقيق الإيصال إلى إثارة استجابة معينة كلغة الأشعار.

3. وظيفة النداء : وهي التي يدعو عبرها الدليل إلى إنجاز سلوك ما، كالأوامر والنواهي والقوانين المسنونة التي تنتظر انصياعا أو تمردا، وثمة وظيفة مركبة من التعبير والنداء، ككلمات اللطف التي تؤثر في المتلقي وتنتظر سلوك الرد بالمثل.

[1983 . 1896]

إن بوهلر هنا يعبر عن إيمانه بمبدإ الشعرية الجديدة، ورومان جاكوبسون وبراك القائل : « أنا لا أومن بالأشياء بحد ذاتها، بل أومن بالعلاقات القائمة بينها».[2]

ولكن أفكار بيرس Pearce ستتيح الفرصة أيضا لاسم آخر، يعتقد أنه صاحب يد في بناء المنهج التداولي، إنه فريج Cothlob Freg، ذلك من خلال تمييزه بين اللغة العلمية، واللغة التواصلية في هذا المقام، إذ يطلب إلى الأولى أن تقدم مساعدة على معرفة محددات الحقيقة، في حين تضطلع الثانية بتقديم كل ما يضمن نجاح التواصل[3].

وبهذا يكون فريج Freg داعية إلى تحديد المساحة التي تتحرك داخلها التداولية، فأخذ بذلك شرعية في انتمائه إلى تاريخ التداولية.

---

(1) انظر : فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 66.
(2) النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 29.
(3) المقاربة التداولية، ص 28.

إن فريج وبنعته اللغة العلمية على بأنها ذات روابط منطقية، ولوسمه العادية بالمضببة، لأنها تنتمي إلى علاقات التفاعل التي تضطلع البلاغة والأسلوبية بالبحث عن قوانينها وقوانين (تلوين الفكر) - كما يعبر فريج-، أقول : إنه بذلك وبتمييزه بين اللغة التي تحكمها قواعد عامة وبين التي تمكن الفرد من خلق قواعد فردية، يؤسس لاسم آخر أن ينطلق نحو نظرية أخرى، إنه فيتنجشتاين Wittgentein ، وإنها نظرية (ألعاب اللغة).

يشير فيتنجشتاين إلى إيمانه بعدم فصل النشاط اللغوي عن الحياة، وكما أن الحياة تستند إلى قواعد وقوانين، فإن اللغة كذلك، وكما أن الحية الاجتماعية تطور وتنوع وإمكانات متواصلة فاللغة كذلك، ولكي يقدم الفيلسوف تصوره الكامل عن ألعاب اللغة يؤثر بناءه على مفهومي القاعدة والدلالة. فمفهوم القاعدة يحيل على وجوب خضوع الاستعمال اللغوي لقواعد ومواضعة واصطلاح، إذ اللغة كما لعبة الشطرنج وغيرها مؤسسة اجتماعية تحتكم إلى أعراف، دون إهمال ما يسميه القواعد الفردية وهي التي تتيح للمتكلم أن ينوع في نشاطه اللغوي تنويعا غير متناه، ولكن داخل حدود القواعد العامة[1].

ويكتسي مفهوم القاعدة أهمية، من حيث إنه ينفي وجود لغة خاصة بالفرد، إذ لا حياة للغة إلا في إطار استعمال جماعي عام، لأنها تداول، أخذ ورد، يقول: « إن كل كلمة تبدو في حد ذاتها كما لو كانت شيئا ميتا، وما الذي يعطيها الحياة؟ إنها تكون شيئا حيا أثناء استخدامها، فهل دبت فيها الحياة بهذا الشكل أو أن الاستخدام نفسه هو حياتها ؟ »[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص 18-19. وانظر: Eric Grillo, La philosophie du langage , P42
(2) د. أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية. ص 263.

وهو كلام، إذا قيس بما قرره ستيفن أولمان Olman، كشف عن تشابه كبير بينهما، يقول أولمان : « وليس للغة حساب منطقي دقيق، لكل كلمة معنى محدد، ولكل جملة معنى محدد، بحيث يمكن الانتقال من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي، لكن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية، وتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه، وإن الكلمة مطاطة تتسع استخداماتها أو تضيق حسب الظروف والحاجات، وإن اللغة ليست كرجل صارم يعرف دائما ماذا يفعل،ويفعل دائما طبقا لقاعدة محددة، وإنما هي كرجل فضفاض متفائل، له نشاط متعدد يتلاعب بما لديه من دون صرامة أو خطة محكمة » [1]

ومن هنا يتجلى تركيز فيلسوف أكسفورد على التخاطب / الحوار / التداول.

وأما مفهوم الدلالة، فيدعو من خلاله إلى عدم الخلط بين المعنى المحصّل والمعنى المقدّر، فالمقدر هو معنى الجملة التي تلتزم بالخضوع لقواعد عامة وتكتسب دلالتها من صلات تربطها بجمل مجاورة، والمحصل هو معنى الكلام أوالقول في خلقه لتأثير في المتلقي من خلال فاعليته في صلب الحياة الإجتماعية[2].

وأما المفهوم الثالث، فألعاب اللغة، هذه التي يشبهها بأشكال الحياة المتعددة واللامتناهية، فاللغة كذلك عدد لا متناه من طرق الاستخدام، فتعدد أشكال الحياة يحيل على تعدد المقامات والسياقات، وهذا يحيل على ضرورة تعدد طرق الاستخدام اللغوي كي تقوى الحياة أن تجد نفسها مخبأة في اللغة، فعلينا ألا ننظر إلى أن مفهوم اللعبة اللغوية مفصول عن مفهوم القاعدة والدلالة.

---

(1) دور الكلمة في اللغة، ص 21.
(2) مدخل إلى اللسانيات، ص 18.

ولكن مآخذ أخذت على فيتجنشتاين، لعل أهمها أنه غير تداولي بما فيه كفاية، لأنه يقدم لائحة غير منضبطة، ومن ثم لا يمكن الاتكاء عليه إجرائيا[1] وعدم تداوليته معناه عدم حواريته كما عبر سورل Searle .

وعلى كل، فالفيلسوف يصنف ضمن أصحاب التيار التداولي، وضمن منظري أفعال اللغة تحديدا[2]، فلقد كان يقول دائما :« دع الألفاظ تعلمك وتوضح لك معناها من خلال استخدامها »[3]

وإجمالا، إنها تصورات لموريس وبوهلر وفيتنجشتاين ستصاغ في ما بعد بـــ (**الفعل الكلامي**) وهي زاوية تداولية من حيث الدعوة إلى الاهتمام بجميع عناصر النشاط اللساني، مرسلا ومرسلا إليه، ورسالة وسياقا ووظائف، إنه علينا أن نفهم أن تصوري بيرس وموريس مندمجان ضمن الذرائعية الأمريكية، هذه الذرائعية التي تحسب ضمن مقومات انبثقت عنها النظرية التداولية، وعلينا كذلك أن نعلم أن تصوري بوهلر وفيتنجشتاين ذوا أثر أيضا في إنتاج مفهوم **الفعل الكلامي**.

ونحن ملزمون بإدراج التداولية ضمن الذرائعية الأمريكية، لأنها التعبير عن مبادئها الفلسفية في عالم اللغويات، وأهم مبادئها إعادة النظر في الجهاز المقولاتي المؤمن بأن وظيفة اللغة مقتصرة على تصوير الواقع فحسب، والتعبير عنه فقط، ومجاوزة هذا الإيمان إلى ما تفرضه توجهات البشرية اليوم نحو النفعية والمصلحة، والتي يتعين على الجهاز المقولاتي الحديث، بمقتضاها، أي تلك التوجهات، أن ينظر إلى اللغة على أنها يجب أن تبنى على ما يحقق النفع العملي، وأن تأخذ كل أشياء اللغة معانيها الحقيقية من مجموعة المواقف العملية

---

(1) المقاربة التداولية، ص 33.
(2) تحليل الخطاب الشعري، ص 8.
(3) انظر : د/ عزمي إسلام، مفهوم المعنى، ص 66.

المصلحية، إذ لم يعد للمثل أو المعنويات المهيمنة على العصور القديمة معيارية في تحديد معاني الأشياء، وإنما الأمر اليوم للواقع المصلحي ليس غير، ولعل هذا ما جعل أوستين Austin ينظر إلى التقسيمات والمقولات التصنيفية الموروثة عن الإغريق والسلوكيين الذين أرادوا تجفيف اللغة من الحياة على أنها من باب الوصف الوهمي " illusion descriptive " أو الهازل " péjoratif "[1]

وتمر التداولية بمحاولة كارناب وبارهييل الرامية إلى اتخاذ التداولية منهجا تجريبيا من خلال التمييز بين السيمياء الوصفية والسيمياء المحضة، ومن خلال تقديم صفة (التناوبية) للعمل التواصلي، أي أن اللغة فعل يتناوب.

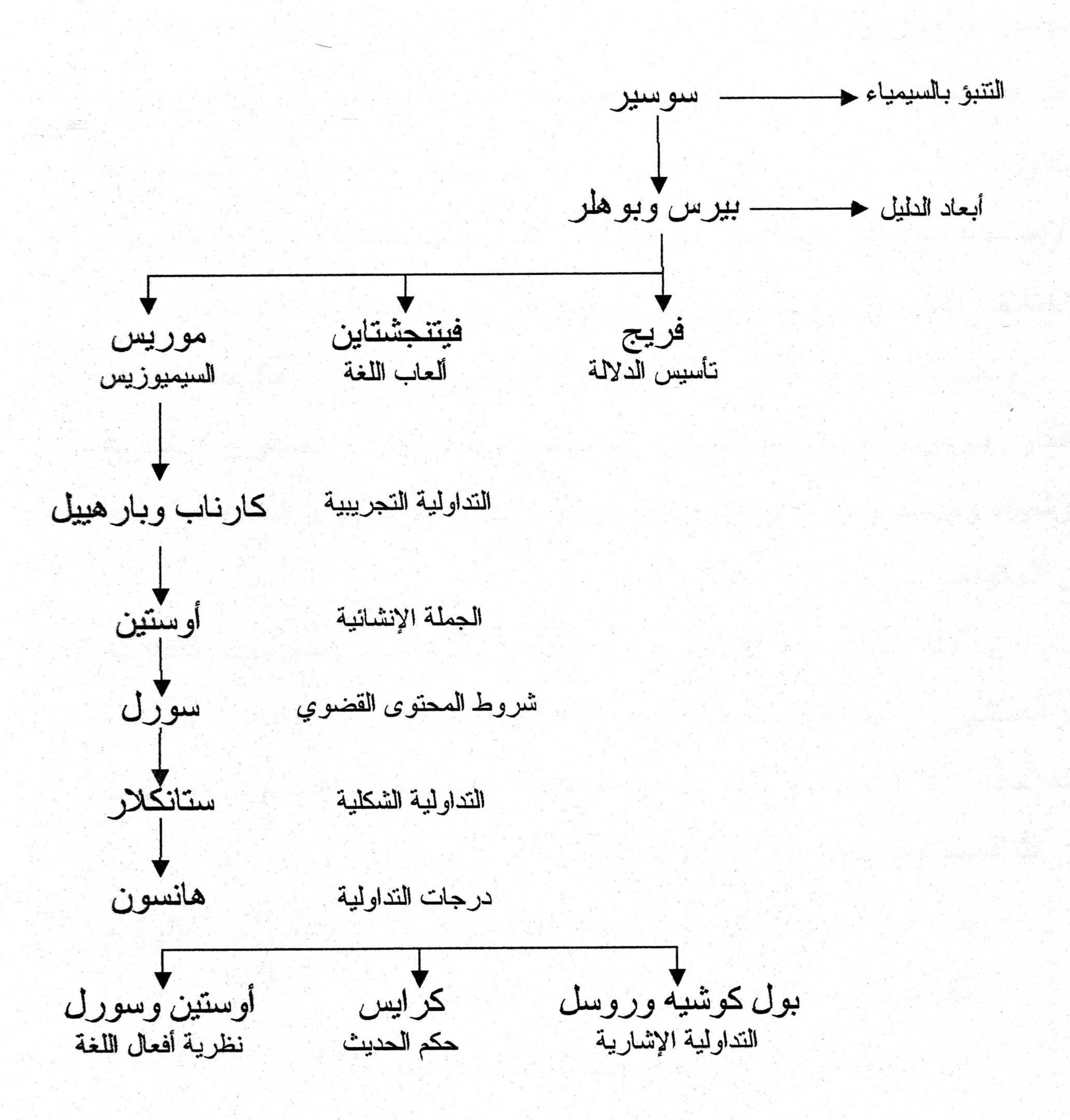
من هنا يتضح الكثير من الرؤى لأوستين وسورل ليستفيدا منها في الوصول إلى نظرية **(أفعال اللغة)** التي اعتبرتها بعض المراجع اكتشافا [2].

وبعد كارناب وبارهييل، يظهر على الخط التداولي اسم ستانكلار Stalnaker الذي يضعنا أمام انتقاد يوجهه لكل المفاهيم السابقة بأنها مبهمة ومتداخلة، فعلى الأشياء أن تكون شكلا، أو لا شكل، كي يسهل التعامل معها وتصنيفها وضبط نواميسها وتتيسر معرفة حدودها، فساهم بعد سورل في تحديد نشاط العمل التداولي، وبنظرة شمولية تصنيفية يسعى هانسون Hansson إلى تقديم برنامج يجمع كل هذه الاسهامات ليختزلها في تداولية ذات ثلاث درجات، الإشارية التي نقف فيها على محاولة روسل الاختزالية، حكم غرايس [3] ونظرية أوستين وسورل في الأفعال الكلامية.

---

[1] Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P135.
[2] Eric Grillo , La philosophie du langage, P 46.
[3] Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P165.

وهذه خطاطة توضح المسار البنائي – في تقديري – للمقاربة التداولية، يتبين خلالها موقع أوستين وموقع سورل :



ولكن ثمة إشكالا قد يزيد من متاعب الباحث عن هذا المنهج المتحرك يتمثل في تنوع منطلقات المهتمين به، هذه المنطلقات الفكرية والأصول النظرية ذات الجذور العميقة، وهو الأمر الذي افتر عن تقديم تداولية مشكلة، ربما يكون التشديد عليها أهم من الإجابة عنها[1]، ولذلك كان من الضروري في عقيدة بعض المهتمين بالمدارس اللسانية الإلمام بالأطر الإبستمولوجية والمؤسسات الفكرية والفلسفية التي صاغت تلك المدارس الصياغة التي تقدم نفسها من خلالها، يقول الدكتور محمد محمد علي يونس : « تتحكم الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية إلى حد كبير في تشكيل الاتجاهات اللسانية، وكثيرا ما يعود الاختلاف المنهجي بين اللسانيين إلى موقفهم من هذه الأصول» .[2]

ولعل جوهر الإشكال يكمن في أن للمقاربات التداولية مكونات عديدة كأفكار **بيرس** و**فريج** و**فيتنجتاين** و**موريس** و**ستانكلار** و**هانسون** و**إشارية غوشيه**، و**سياقية سيرك** و**موضوعية ديكرو** وأخيرا فكرة أفعال اللغة وغير ذلك من المكونات[3].

إن هذا ما يجعلنا نصادف في النهاية العديد من التداوليات كتداولية البراغماتيين والسايكوسوسيولوجيين وتداولية اللسانيين وتداوليات المناطقة والفلاسفة [4] ، الأمر الذي نجم عنه أثناء البحث عن التداولية المنشودة غير قليل من التناقضات قد تصاغ في شكل تساؤلات :

- هل هي منهج متنافر يجتمع فيه كل هم نحوي أو دلالي أو لساني لم يلق حلا فاصلا؟
- هل يمكنها أن تندمج ضمن أبحاث حقل آخر كالدلالة؟

---

(1) انظر : أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 60.
(2) أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، عالم الفكر، ص 127.
(3) أرمنكو، المقاربة التداولية، ص 60.
(4) سعيد علوش، المقاربة التداولية، الفكر العربي المعاصر، ص60.

- أم أنها جزء من السيميائيات؟

ولكل تساؤل منها اسم أو أكثر من العلماء، يسعى كل منهم إلى أن تكون إجابته عنه جوهر التداولية [1].

إن مترجم كتاب (**المقاربة التداولية**) –الدكتور سعيد علوش، وفي مقال له في مجلة الفكر العربي المعاصر ليختم عمله بهذا السؤال المثنى بسؤال:

- إنها إذن تداوليات عديدة ؟
- لماذا لا تكون كذلك؟

ولكن ما الذي نريد انتخابه من هذا الزخم من المقاربات بالنظر إلى مقاصد هذا البحث؟ أكل تداولية؟، أم تداولية شرعية في دنيا الأبحاث اللسانية؟

إن تكن هذه الأخيرة، فمن الأخلق أن يكون إسهامه مهما هنا؟

إن المصادر التي ما بين يدي تشير إلى إسهامي أوستين وسورل بل إن منهم من يختزل النظرية التداولية في المفهوم الأوستيني والسورلي لأفعال الكلام [2].

ذلك اعتبارا لخلعهما الطابع العملي الإجرائي على مفاهيمها التي اقترح عليها تصنيفات وتقسيمات، يغدو كل صنف منها مميزا بخصوصياته، يقول الدكتور/محمد محمد علي يونس: « ولعل من أهم ما ينبغي أن يذكر في سياق الحديث عن البراغماتية الدور المهم والمؤثر الذي قام به فلاسفة اللغة في تطوير هذا المجال، ومن الأعلام المهمين هنا –إضافة إلى بول غرايس المشار إليه سابقا– أوستين Austin وسيرل Searle اللذين قدما للسانيات نظريتهما المعروفة بأحداث الكلام » [3].

---

[1] أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 18.

[2] انظر مثلا : هاربرت باركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ص 11 وما بعدها.

[3] أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة ، مجلة عالم الفكر، العدد 1 ، سبتمبر 2003 ، ص 166 .

ولقد كان حديثه هذا في سياق ما أسماه المدرسة التخاطبية، وهو ليس يريد من التخاطبية غير التداولية.

ويؤيد كلامه هذا ما جاء في كتاب " Introduction à la linguistique contemporaine " : « إن التداولية منهج شهد تطوره الواسع لما انتهى إلى نظرية أفعال اللغة، وهي تشكل المسار التاريخي الذي تمثل هذه النظرية حلقته الأخيرة، ويعود فضل تطويرها إلى سورل الذي اتبع خطى أوستين الذي أسس لوجودها ».[1]

ولعل هذا ما يبرر اطمئنان الباحثين إلى هذين الاسمين على أنهما أولى من يشار إليه في سياق الحديث عن التداولية، وذلك لأنهما نجحا في صياغة الصورة التي يجب أن تظهر عليها اللغة في عصر طغيان فلسفة البراغماتية التي تقترحها أمريكا على العالم .

---

[1] Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN , Introduction à la linguistique contemporaine, P 135.

ثانيا: عند العرب :

الحقيقة أن الاهتمام بالنشاط التواصلي من حيث هو حوار، أخذ ورد، إرسال واستقبال، تأثير وتأثر، إملاء واستجابة من الخطر بالمكان الذي لايمكن معه تصور أن يكون الدرس اللغوي العربي خلوا منه أو مما هو منه بصلة، ولعل استقراء لصفحة التراث العربي أن يرد الباحث المستقرأ موقنا بهذه القناعة.

يكاد بعض الدارسين المحدثين أن يجعل من التداولية إعادة صياغة للبلاغة العربية، فما هي إلا ثوب جديد لها، ذلك أنها تهتم بقضايا طالما استهلكت حبرا لدى بلاغيينا القدامى، وربما تكون قضية (اللفظ والمعنى) التي تسجل حضورها القوي في مصنفاتهم، من أهم مؤسسات الفكر التداولي لديهم، ذلك أنها وثيقة الصلة بمسألة البيان التي ستشغل الجاحظ كثيرا. والجاحظ لا يقيم كبير وزن للمعنى في سياق التمييز بين جيد الخطاب ورديئه بحجة أنه مطروح في الطريق، كما هو معروف عنه، وإنما العبرة بمعرفة تشكيل المبنى تشكيلا مبينا، مفصحا عن المقاصد بما يكفل الشعور بالجمال. إن الجاحظ كما يعبر الدكتور طه حسين مؤسس البيان العربي وفاقا للعارفين بشؤونه من العرب[1].

وعلى الرغم من الإيمان بأن كتابه (البيان والتبيين) سجل حافل للتصور العربي للبيان في القرنين الثاني والثالث الهجريين، إلا أن ثمة قناعة تنتمي إلى مبحث أصالة البحث البياني العربي، هي قناعة الإيمان بتدخل الأعاجم، فرسهم ويونانهم وهنودهم، في تكوين بنية هذا البحث، وتتأسس القناعة على ما جاء في كتاب الجاحظ مما يبرهن على ثقافته الموسوعية، إن أبا عثمان توفي سنة (255 هـ) أي بعد خلافة المنصور (158 - 169 هـ) بقرن من الزمان

---

[1] د/ طه حسين، كتب ومؤلفون، ص 248.

تقريبا، وبعد أن حقق هذا الخليفة ما حقق في مجال الترجمة واستيراد الفكر الخارجي إلى العرب.

يروي الجاحظ: « قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني: ما البلاغة ؟ قال: تقسيم الأقسام، واختيار الكلام، وقيل للرومي: ما البلاغة ؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة، وقيل للهندي، ما البلاغة ؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة »[1].

إن الكثير مما هو مزروع في هذا النص ليتوفر على فكر تداولي، من خلال النظر في الإبانة (وضوح الدلالة) ومراعاة خصوصيات السياق (انتهاز الفرصة) وإتقان تشكيل أدوات الإبلاغ وما يضمن الوصول إلى المتلقي (حسن الإشارة). وهذه المبادئ كلها تغدو ذات عناية بالغة من قبل التداولية.

ويعرف الجاحظ البيان بأنه (اسم جامع) يلتقي فيه كل ما له دور في الوصول إلى المتلقي، وكل ما يمكن المتكلم من الوصول إلى تحقيق (محصول) كلامه وأتاح له تحقيق الإفهام على نحو مباشر، يقول : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، وإنما هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان »[2].

ويكون مفهوم الجاحظ هذا تداوليا حقا، كلما تم النظر إلى وظيفتي (الفهم والإفهام) وهذا من مساع في طريق التداولية الحديثة، وربما يكون في كلمة

---

[1] البيان والتبيين، 1/ 125.
[2] البيان والتبيين، 76/1.

(المنفعة) هذه رؤية نفعية بحتة، تتحقق بإدراك مسؤولية المتكلم لمقتضياتها، وأهلية الملتقى واستعداده.

ويشعر الجاحظ بضرورة الحديث عن أنواع الدلالة وطرائق الإحالة عليها فيجملها في خمس، فيقول: « وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط ثم الحال التي تسمى النصبة، والنصبة هي الحال الدالة » [1].

يجمع الجاحظ خمس دلالات في فقرته، ليجعل اللفظ على رأسها، ومنه إلى ما هو إشارة مثلا، شعورا منه بما لهذه من أثر فعال في ضمان نجاح العملية التواصلية، وأما النصبة فقد فهمها د/بناني على أنها هيئة تتوضع عليها الأشياء فتكون دوال بصورة الهيئة تلك [2] ، وكأني بشكل الأشياء يقوم مقام الأداة التعبيرية التي تساعد المتلقي على تحصيل معنى الكلام، وثمة شرح مستفيض للدكتور صالح بلعيد لبقية ما جاء في تعريف الجاحظ من دلالات كالعقد والخط [3] .

إن اهتمام الجاحظ وشعوره بخطر عناصر العمل التواصلي، من رسالة ومرسل ومرسل إليه ومقام ليحيل على أنه تداولي عربي بدرجة ما، بمقتضى إيمانه ببناء التواصل على ما يحقق النفع.

ويبوب الدكتور طه حسين حديث الجاحظ عن البيان في أربعة أبواب تتوفر على ما يجعل الجاحظ ذا فكر تداولي[4] والأبواب هي:

1- الكلام على صحة مخارج الحروف، ثم على العيوب التي سببها اللسان أو الإسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه.

---

(1) البيان والتبيين، 76/1.

(2) الجاحظ، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية ص 77.

(3) نظرية النظم، ص 114.

(4) انظر : د. محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص 293.

2- الكلام على سلامة اللغة، والصلة بين الألفاظ بعضها وبعض، والعيوب الناشئة من تنافر الحروف تنافرا يمجه السمع.

3- الكلام على الجملة، والعلاقة بين المعنى واللفظ، ثم على الوضوح والإيجاز والإطناب والملاءمة بين الخطبة والسامعين لها، والملاءمة بين الخطبة وموضوعها[1]. 4- الكلام على هيئة الخطيب.

كما يعبر الجاحظ عن انتباهه إلى مسألة احترام المقام الذي يجري ضمنه التخاطب، واحترام مستويات المستمعين، فيقول :« ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ».[2]

كما يخلص د/صالح بلعيد إلى اتفاق مبادئ الجاحظ وتقسيم اللسانيات للكلام إلى وظيفتين:

- التوصيل: وتتعلق بالآخر.

- التعبير: ودور المتكلم لا ينتهي عند حدود إيصال المعنى، بل يجاوزه إلى ترك الأثر في المتلقي يجره إلى الاقتناع والعمل بمقتضى ما يقصد إليه المتكلم في النهاية. [3]

---

(1) كتب ومؤلفون، ص 252.
(2) البيان والتبيين، 138/1
(3) د. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص 68 .

ملامح التداولية عند ابن جني (ت 392 هـ) : يقيم أبو الفتح بن جني ،بدءا، فهمه للغة على مبدإ التواضع والاصطلاح، فهي لديه ذات صبغة عرفية اتفاقية، وهو ما جعله يفترض التقاء حكيمين يشعران بالحاجة إلى الإبانة عن الأشياء، فيعمدان إلى تسمية كل شيء بما يميزه عن غيره، ثم يتواضعان على ذلك، حتى إذا استقر الأمر عليه، أمكنهم تنويع اللغات انطلاقا من المواضعة الأولى، والمهم أن مبدأ التواضع هذا يندرج ضمن ما تؤمن به التداولية إيمانا عميقا.

ومما يندرج ضمن المفاهيم التداولية في درس ابن جني مراعاته لعنصر المقام والانتباه إلى خصوصيات المخاطب وضعا ومستوى، فيقول: « وجب أن يخاطب كل إنسان منهم [يعني المتكلمين والفقهاء و...] بما يعتاده، ويأنس به، ليكون له سهم منه وحصة فيه »[1].

فلا شك أن التأثير إنما يتأتى بالنظر إلى اهتمامات المخاطب التي هي من فؤاده وعواطفه وقناعاته بصلة، بل وبالنظر إلى الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهو من مبادئ دعا إليها الدرس اللغوي الحديث، خصوصا ما اتصل منه باللغة على أنها تواصل اجتماعي، نشاط ينخرط فيه غير ما عنصر، والمستوى الاجتماعي من عناصر مختلفة فيه، يقول أوتو جسبرسن : « إن اللغة طبقية متنوعة تختلف تبعا لاختلاف طبقات المجتمع واختلاف مستوياته، وتبعا لاختلاف مواطن فئاته وما تخضع له هذه المواطن من عوامل تؤثر في لغة ساكنيها، فلكل محيط اجتماعي لغة تتناسب معه في مفرداتها وتعبيراتها وطرق نطقها »[2].

---

(1) الخصائص، 67/1.
(2) اللغة بين الفرد والمجتمع، ص158.

والحقيقة أن خصائص ابن جني كثيرا ما كان ذا سبق في التأسيس لغير ما مبحث من مباحث اللغة، كحديثه عن الدور الفعال لرؤية المتكلم أثناء عملية التواصل للاعتماد على كثير مما يرتسم على ملامحه في الوصول إلى المعاني والمقاصد، إذ كثيرا ما تشارك قسمات الوجه في تبليغ أحوال النفس وما يدور في الفؤاد، ولذلك قسم ابن جني الكلام إلى غائب وحاضر،وهو يعني الكلام المنقول عن العرب بالرواية، فجعل الحاضر ما بلغ إلينا من لفظه، وعد الغائب ما يقول عنه : « فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها و قصودها: من استخفافها شيئا أو استثقاله ، وتقبله أو إنكاره، و الأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به ، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما في النفوس » [1].

ولم يفت ابن جني تقديم الدليل على كل ذلك فقال : « أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر، فأراد أن يخاطب به صاحبه، و ينعم تصويره له في نفسه، استعطفه ليقبل عليه، فيقول له : يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، و أصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عته

فسيبويه، مثلا، يقيم وزنا لأهمية مراعاة طبيعة المتلقي وملابسات موقفه من الرسالة، ويتضح هذا من خلال تبريره لعدم استساغة العربية للابتداء بالنكرة، ذلك في قوله: « ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور، وليس هذا بالذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة » [1].

ويقدم الأستاذ عبد القادر حسن شرحا لقول سيبويه بقوله: « المخاطب يريد أن يفهم، وأن يعرف شيئا جديدا كان مجهولا لديه، وعلى المتكلم أن يراعي هذه الحاجة، ويلبيها له، ولن يتحقق أن يكون مدخل من البلاغة، ومراعاة لمقتضى حال المخاطب، إلا إذا ابتدأ بالمعرفة، ولو أنه بدأ بنكرة، لخرج من دائرة الحسن، فضلا عن أن يكون كلاما مستقيما » [2].

وأما مراعاة مبدأ القصدية، وهو تداولي، فلها موقع تأخذه مصحوبا بعناية في تراثنا العربي، فهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يروي لنا حوارا جمع الكسائي، وأبا يوسف القاضي، فيحدث على لسان الأول: « اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو، فقلت : ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتل غلامك، وقال له آخر: أنا قاتل غلامك، أيهما تأخذ به ؟ قال: آخذهما جميعا، فقال له هارون: أخطأت فاستحى وقال : كيف ذلك ؟ قال: الذي يأخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتل غلامك بالإضافة، لأنه فعل ماض، وأما الذي قال: أنا قاتل غلامك بالنصب فلا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد » [3].

فالأول صرح وأبان عن أنه قتل فاستحق الأخذ، أي العقاب، وأما الثاني فما فعل بعد، فليس يستقيم أخذه بما لم يفعل بعد، ومن ثمة توجب مراعاة مقصد

---

(1) الكتاب، 22/1.
(2) أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 3.
(3) المقتضب، 95/3.

المتكلم حتى يعامل على نحو صحيح، وهذا ما نقف عليه عند فيتنجشتاين فيما بعد من خلال رؤيته للعلامة اللغوية على أنها (دال) و(مدلول) و(قصد) [1].

ولعبد القاهر الجرجاني يد طولى في رصد مبادئ ذات طابع تداولي من مثل الإشارة إلى دور المرسل.

ملامح التداولية عند الجرجاني:

يؤمن الجرجاني، هاهنا، بأن المرسل – وهو الشاعر في إجراءاته– ذو مسؤولية ثقيلة يتجشم متاعبها، من خلال النظر في كيفيات تشكيل أدواته الإبلاغية على نحو يضمن نجاح وصول رسالته، يقول: « إن توفقت في حاجتك أيها السامع للمعنى إلى الفكر في تحصيله فهل تشك في أن الشاعر الذي أداه إليك ... قد تحمل فيه المشقة الشديدة، وقطع فيه المشقة البعيدة، وأنه لم يصل إلى دره حتى غاص » [2].

الإشارة إلى مبدأ القصدية Intention :

ليس يتأتى إبلاغ ناجح إلا بضرورة وصول المقصود لدى المتلقي، إذ به يتحقق إدراكه، ومن ثم تأثره واستجابته، يقول : « ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه» [3]، وذلك كي لا يلتبس على المتلقي المعنى المقصود بغيره من معان قد تجاوره، فلابد، من ثم، أن ينتبه إلى ما هو في نية المتكلم إيصاله كي يبنى عليه إدراك الرسالة.

وغير ذلك من العناصر التي تنتمي إلى الفلسفة التداولية، كأفكار تتصل بالمرسل، وأخرى بالمرسل إليه وثالثة بالرسالة ورابعة بالمقام وخامسة بالتأثير

---

(1) أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 22.
(2) أسرار البلاغة، ص 123.
(3) دلائل الإعجاز، ص375.

و... وليس ينبغي إغفال اندراج تلك الأفكار كلها في مفهوم النظم عند الجرجاني.

فمن باب التمثيل أن يكون مبدأ الأسلوب أوحكمة الأسلوب الداعية إلى ضرورة ترتيب الكلام [1]مسجلة داخل قول الجرجاني: « والألفاظ لاتفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب » [2].

وما إلى ذلك من مبادئ مكنت الجرجاني من ان يكون صاحب الحسم النهائي لمعركة اللفظ والمعنى، مترجما ذلك في ركائزه الكبرى لنظرية النظم:

1- النظم هو التأليف وسبيل التصوير والصياغة.

2- النظم ليس في اللفظة المفردة.

3- النظم ليس في اللفظ، أو في المعنى يستقل كل عن الآخر.

4- النظم هو التعليق.

5- النظم هو توخي معاني النحو [3].

وأجد المبرر في اطراح التفصيل في التنقيب عن سمات التداولية في تراثنا العربي في أنه أمر أو مطلب يقتضي استقراء مطولا قد يقيم أطروحات برمتها، فكيف بعقد النية على عرض أفكار يطلب إليها مجرد التدليل -في حده الأدنى- على اهتمام علمائنا بما له صلة بهذا التخصص الحديث، ولعله مما يعضد هذا التبرير ملاحظة الطبيعة الإنسانية أو الأخلاقية لبعض المبادئ التي تقضي بأن تخصها الأديان أو حتى الأعراف والآداب العامة بموضع فيها، فالتداولية من منطلق كونها حوارا أولى بالأديان والأعراف أن تقيد هذا السلوك الإنساني

---

(1) أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، ص165.

(2) أسرار البلاغة، ص4، 5.

(3) دكتور صالح بلعيد، نظرية النظم، ص143.

بطبيعته بضوابط وأخلاقيات تتجه به نحو صورته المرضية المثلى، فمن ذلك وجوب النظر في مستوى المخاطب واهتماماته، وقد روي عن علي بن أبي طالب (ض) قوله : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم ».

بل إن الشاعر بشار بن برد توجه إلى جارية له تدعى ربابة بهذين البيتين اللذين عدا من ساقط شعره :

ربابـــة ربة البيــت تصب الخـل في الزيت

لهـــا عشر دجاجات وديـــك حسن الصـــوت

ولما خوطب فيهما احتج بأنهما – وبالنظر إلى مستواها التذوقي– أجمل عندها من (قفا نبك) رائعة امرئ القيس[1].

فليس من باب البدعة أن يقرر السكاكي بعد هذا ضرورة ملاحظة مقام المخاطب إذ يقول : « ومقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل ذلك مقتضى يغاير مقتضى الآخر »[2].

وليس من باب الإغراق، بعد هذا وذاك، أن ينزل محمد العمري السكاكي منزلة المعتنى به بشكل كبير لدى التداوليين المحدثين[3].

ومن منطلق اعتبار (الفعل الكلامي) مفهوما مؤسسا على أنه كل قول أفضى إلى تأدية فعل ما كالأمر والاستفسار و... فإن أبحاث بلاغيينا القدامى في أساليب الخبر والإنشاء لتحيل على أن وجود الفكر التداولي وبالمفهوم الحديث أمر لا مدفع لأحد فيه، وليس يلزمه، إن رام اليقين إلا الاستقراء ثم المقارنة.

---

(1) انظر: عبد الرحيم العباسي، الأغاني 156/3 ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص، م295/1/1.
(2) انظر مفتاح العلوم، ص 73.
(3) انظر : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 27.

مبادئ التداولية عند حازم القرطاجني (ت 684 هـ) :

إن الناظر في (منهاج) حازم ليعود منه بقناعة تجعله يعتبره من ذوي النصيب في الفكر التداولي، بالخصوصيات التراثية العربية، إذ أن أبحاثا له في كتابه ذاك تتصل بفائدة الكلام و(حصيلته)، والنظر إلى البنى النفسية للأنساق التواصلية وإلمامه بمبدإ القصدية، والتفسير المنفعي المصلحي للعملية التخاطبية، واهتمامه بتبادل التأثير بين طرفي تلك العملية، إن أبحاثا له من هذا النوع لا تشير إلى غير تلك القناعة[1].

فحازم من المؤمنين بضرورة ترك الأثر في المتلقي ودعوته إلى الاستجابة لمقتضى طبيعة مقاصد الخطاب، يقول عن الشعر مثلا : « الشعر من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه »[2].

إنه يمكننا فهم ذلك الهرب الذي يعنيه حازم على أنه قريب من معنى ما يقوله ويتنجشتاين : « وليس الهدف الأول للغة هو هدف الفهم والتمثيل، بل هو ممارسة لتأثير فعلي للواحد في الآخر» [3].

بل يذهب حازم إلى التموضع السايكولوجي للملتقي الذي يعمل على الاستجابة لمقتضى الخطاب، وهو ما يتحدث عنه تحت كلمة الاستعداد، أي أن تكون نفس المتلقي في جاهزية للتأثر، يقول : « والاستعداد بأن تكون للنفس حال وهوى قد تهيأت بهما لأن يحركها قول ما بحسب شدة موافقته لذلك الحال والهوى » [4].

كما ليس يفوت حازما النظر إلى مستوى المتلقي وطبيعته، وخصوصيات موقعه، ضمانا لاستجابته بإيجاب، وتحقيقا لمحصول الخطاب، إنه يقترح على

---

(1) يتحدث حازم في كل ذلك في سياق التنظير للخطاب الشعري فحسب.
(2) حازم القرطاجي، منهاج البلغاء، ص71.
(3) أ رمنكو، المقاربة التداولية، ص32.
(4) حازم، منهاج البلغاء، ص121.

الشاعر المداح أن يخص كل فئة من الناس بما يلائمها من الأوصاف والنعوت، يقول: « ويجب أن يقصد في مدح صنف من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد في مدح واحد واحد ممن يراد تقريظه ما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع منها، وأن لا يجعل الشيئ منها حلية لمن لا يستحقه » [1].

ونقف في في كلام حازم القرطاجي على ما يتصل بمبادئ تنادى بها التداولية اليوم، من مثل حمل الخطاب على مقصد المتكلم أو نيته وعدم صرفه إلى غيره، وعدم الاحتكام إلى قياس خطاب استعمل في موضع، على آخر في موضع أخر، يقول: « وعلى هذا النحو وقع كثير من المذاهب الفاسدة في كلام العرب لأن أرداف الفصاحة منهم إذا رأوا لصدورهم استعمالا ما في شيئ قاسوا على ذلك ما يرون أنه مماثل لذلك الشيء، وقد تكون بينهما مفارقة من وجه أو أوجه فيغلطون في القياس وكذلك في كثير مما يتأولونه عليهم » [2] إن في هذا الكلام إحالة على أن المحتكم إليه في تعيين المقصد هو المقام بمجموع محدداته.

ونجد حكمة من حكم غرايس تعبر عن نفسها بلغة حازم أيضا، ففي حين يدعو الأول إلى ضرورة ترتيب الكلام على نحو يضمن الإبلاغ، ومن ثم الإفهام ومنه إلى الإقناع، يقرر الثاني قائلا:« العبارة إنما تدل على المعنى بوضع مخصوص وترتيب مخصوص، فإن بدل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة» [3]

وليس يخلو كتاب حازم من حديث عن مواضعة الناس الضمنية على ضرورة توخي المنفعة في الكلام، إذ ليس لديهم من قبيل الكلام ما لا يتوفر على فائدة، ذلك في قوله:« لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي

---

(1) حازم، المنهاج، ص170.
(2) م . ن، ص180.
(3) م. ن، ص179.

احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضا على تحصيل المنافع وإزاحة المضار واستفادتهم حقائق الأمور وإفادتها وجب أن يكون المتكلم يبتغي إما إفادة المخاطب أو الاستفادة منه » [1].

وهو كلام يتوفر على إدراك حازم لمبدأ التأثير المتبادل بين المتلقي والمرسل، وكل تلك نصوص منتخبة لتدلل على مدى إلمام صاحبها بالفكر التداولي، وهومبحث أفاض الحديث فيه الأستاذ محمد أديوان في « نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة ».

---

(1) م. ن، ص344.

الفصـــل الثانـــي

تصـــور أوستيـــن وســـورل

1-1- تصور أوستين Austin :

حاولت فلسفات سبقته أن تبني تصورا لغويا يغدو فعالا في التعبير عن الكون من خلال تقسيمات وتصنيفات رأتها مقننة للنشاط اللغوي. هذه التقسيمات تمس بشكل مباشر الفعل الكلامي، وإنه اجتهاد يرتد إلى فلاسفة الإغريق الذين عملوا على صياغة جهاز مقولاتي يعالج مشكلات الواقع آنذاك، وكل واقع لابد له من ذلك الجهاز، وهو ما يبرهن عليه تاريخ الفكر البشري، ولكن الإغريق انطلقوا من خصوصيات واقعهم، و الواقع يتحرك ويتغير، والتصنيف المقولاتي اللغوي ثابت، وهو أمر يحدث شرخا وهوة بين الواقع وتوجهه الفكري وبين نمط التصور اللغوي فيه .

و الإشكال الذي لاحظه أوستين Austin هو غياب مبررات البقاء على تصنيف فقد مبررات بقائه، أي تصنيف المناطقة الأرسطيين و السلوكيين، وتصنيفهم يقوم أساسا على أن اللغة هدف وغاية، وأن وظيفتها وصف العالم، بينما تفرض معطيات العصر الحاضر المتمثلة في هيمنة التوجه النفعي القاضي بأن لا قيمة لشيء إلا بما يقدمه من مصلحة، ومن ثم اقتنع أوستين بوجوب إعادة النظر في صياغة التصور اللغوي بما يتلاءم وطبيعة هذا التوجه المهيمن .

إننا هنا في حضرة الفلسفة، لأن التداولية أو البراغماتية اللسانية حملتنا على ذلك حملا، فمن الدارسين من ذهب إلى أن التداولية اسم جديد لطريقة قديمة [1].

وقد تم التعرض في هذا القديم الإغريقي إلى تمييز الصيغ الخبرية عن الإنشائية، وجعلت سمة للتمييز فيهما معيار الصدق والكذب، ولكنه تمييز لم ينج من سهام النقد وإعادة النظر بل والتمرد، انطلاقا من الوقوف على جمل

---

[1] طالب طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر ، ص 65. وانظر: حامد خليل ، المنطق البراغماتي عند بيرس، ص 51

غير خاضعة لذلك المعيار، ومن هنا انطلق أوستين، من خلال عدم إيمانه بثنائية الصدق والكذب هذه، فإن جملة مثل:

- أذنت لك بالدخول.

لهي جملة ذات نمط خاص يتأبى على ذلك المعيار، وآية ذلك أنها تتضمن إنجازا لفعل مزامن للتلفظ بها، فعندما أقول:

- إني أتمنى الإقامة المريحة لكم.

فإني: أتلفظ + أنجز فعل التمني فورا.

إن أوستين يسمي هذا النمط الخاص : **الأفعال الإنشائية** [1] وإن تمييزه لهذا الصنف الخاص من الجمل قد غدا « فلسفة عامة للغة تجد تطبيقات هامة بها في اللسانيات »[2] .

إن التقسيم الذي ثار ضده أوستين، والذي فرضه المنطق الأرسطي لردح من الزمن غير قليل، هو تقسيم تصفه بعض الدراسات بأنه كان وهما، وبأنه كان من مهازل الفلاسفة السلوكيين الذين عدوا اللغة سلوكا لغويا شرطيا، فابتعدوا بها عن عمليتها الحياتية فقتلوا بذلك وظيفتها الحقيقية [3] .

ومن ثم، فإن إسهام أوستين مظهره تفريع الجمل ذات الصيغة الخبرية إلى:

1- وصفية Constative: تقدم صورة عن حدث تم القيام به دون ارتباط بإنجاز فعلي ما.

---

(1) مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.
(2) نظرية الأفعال الكلامية. ص 65.
(3) Jacques-MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P135

2- إنشائية Performative : لا تعمل على تقديم صورة أو سرد أو وصف لواقع ما فلا تقبل –من هنا– تكذيبا ولا تصديقا، وهي جمل يقع التلفظ بها موقع القيام بجزء من العمل، بل هو العمل عينه [1].

وإنه عمل يقدم إضافة أوستينية لمفهوم الجملة الخبرية التي شقها قسمين : وصفيات يراد بها الوصف، وأخرى يراد بها الفعل، كما قدم للنمطين المنشقين عن الجملة الخبرية معيارين للتمييز يفصل بينهما، هما (صائبة) أو (خائبة) [2].

ولكن تقسيم أوستين جعل مفهوم الصدق والكذب لا يعتور بعض الجمل التي صنفها على اعتبار الصواب والخيبة ذاك، فشعر بضرورة التمحيص من جديد، فخرج بإمكان التمييز بين ثلاثة أفعال:

1. فعل القول: كل ألفاظ أطلقت على نحو سليم قواعديا، يتضمن معنى، وهذا متحقق دائما.
2. فعل متضمن في القول: وهو محل بحثه.
3. فعل ناتج عن القول: وهو ما يجر الفعل إلى إنجازه.

إن المتأمل في أفعال أوستين الإنشائية، ليقف على مجموعة من المحددات مثل:

---

(1) نظرية الأفعال الكلامية، ص 66.وانظر: Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN,Introduction à la linguistique contemporaine.P135.

(2) المصدر نفسه، ص 66. وانظر: Catherine Orecchioni , La conversation, P74

1- الفاعل فيها دائما هو المتكلم.

2- زمن الفعل هو المضارع دائما [1].

ولم يغفل أوستين وسائل أخرى لها خطرها، تصاحب أفعاله هذه التي أنتبه إلى أنها لا تقدم الأداة الكافية الكفيلة بضمان التواصل الكلامي كالنغمة والإيماءات وحركات المتكلم وحال الحديث[2].

هذا، ولقد بلغ التركيز على (أن أتلفظ = أنجز فعلا) بأوستين إلى أفراد كتاب برمته بعنوان (عندما يعني القول الفعل) (Quand dire , c'est faire)

الفعل اللغوي عند أوستين :

إن الفعل اللغوي عنده جامع لعدة أفعال، هي ثلاثة في مجملها:

1- فعل القول locutionnaire: ويتفرع إلىعدة جوانب.

2- إنشائي illocutionnaire : والمتمثل في إنجاز عمل ما.

3- تأثيري locutionnaire: وهو ما يعمل على إحداث رد فعل لدى المخاطب [3] .

ثم خلص أوستين إلى الوصول إلى تقسيم جميع أفعاله إلى خمسة فصائل كبرى:

1.حكميات: (Verdictives) وتتضمن إطلاق أحكام أو قيم على واقع ما، مثل: برأ، قيم، حسب، وصف، صنف، أرخ ...

2.الإنفاذيات أو التمرسية: (Exercitives) وتدل على استعمال الحق أو القوة أو النفوذ، مثل: أمر، نهي، وجه، عين،...

---

[1] Jacques MOESCHLIER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P 135.

[2] مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 23

[3] المصدر نفسه، ص 24 وانظر: Jacques MOESCHLIER et Antoine AUCHLIN, Introduction....................P137

3.**الوعديات أو التكليف:** (Commissives) وتتضمن إفصاحا عن نية ما، أو إلزام للنفس بتقديم وعد ما، مثل: وعد، نذر، راهن، أقسم، عقد، ...

4.**السلوكيات:** (Behabitives) وتتضمن إظهارا لحالات نفسية تجاه ما يحدث، أوتعكس سلوكات اجتماعية، مثل: إعتذر، شكر، هنأ، عزى، هجا، مدح،...

5.**التبيينيات أو العرضية:** (Expositives) وهي تعكس صلة أحاديثنا بما نتحدث عنه بالمحاججة، مثل: أثبت، أكد، أنكر، أجاب، مثل،...[1]

إن تقسيم أوستين ووظائف بوهلر الموطئة لياكوبسون وألعاب فيتنجشتاين كلها لم تكن ليغفلها د/محمد مفتاح وهو يتحدث تحت عنوان التفاعل ليدلل عبرها على التأثير المتبادل بين الإلقاء والتلقي في خضم حياة حركية، الأمر الذي جعله يقترح للتداولية تعريفا إجرائيا كالآتي: « التأثير المتبادل بين مرسل ومتلقي في حالة حضور أو غياب باستعمال للأدلة اللغوية، مطابق لمقتضى المقام والمقال» [2].

كما نقف لدى محمد أديوان على تعريف للفعل اللغوي الأوستيني، إذ يقول :

« تكلم لغة ما أو التحدث بها يعني تحقيق أفعال لغوية،ومنها أفعال تصلح للتأكيد على أشياء Affirmations أو إعطاء أوامر ordres أو إثارة أسئلة Interrogations أو القيام بوعود Promesses أو غير ذلك من الأفعال اللغوية ». [3]

والذي يجب الانتباه إليه هو مراعاتة مقصد المتكلم، خصوصا إذا لم تكن صيغة الفعل اللغوي لا تحيل بشكل مباشر على نوع محتواها المضموني، والبحث في المقاصد تمنحه التداولية الكثيرة من اهتمامها، إذ بمراعاتها يتحقق التواصل

---

[1] أرمينكو ، نظرية الأفعال الكلامية، طالب طبطبائي، ص 67. والمقاربة التداولية، ص 83.
[2] تحليل الخطاب الشعري، ص 138.
[3] محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم و القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، ص 39 .

الناجح، ومن ثم، يتحقق الهدف النهائي المتمثل في المنفعة من صياغة الفعل اللغوي رأسا، والمنفعة ليست غير (الأثر) الذي يفترض أن يتركه كل حطاب ناجح.

ولعل فرانسواز أرمينكو تكون صاحبة فضل في اختزالها التعبير عن قائمة أصناف أوستين، والتي أطلق عليها اسم لائحة، لتقول - بعد أن أكدت على ريادة أوستين - : « وهذه اللائحة تشتمل على: أكد ووضع سؤالا، وأعطى أمرا، ووصف، واعتذر، وهدد وترجى، وتحدى ورخص »[1].

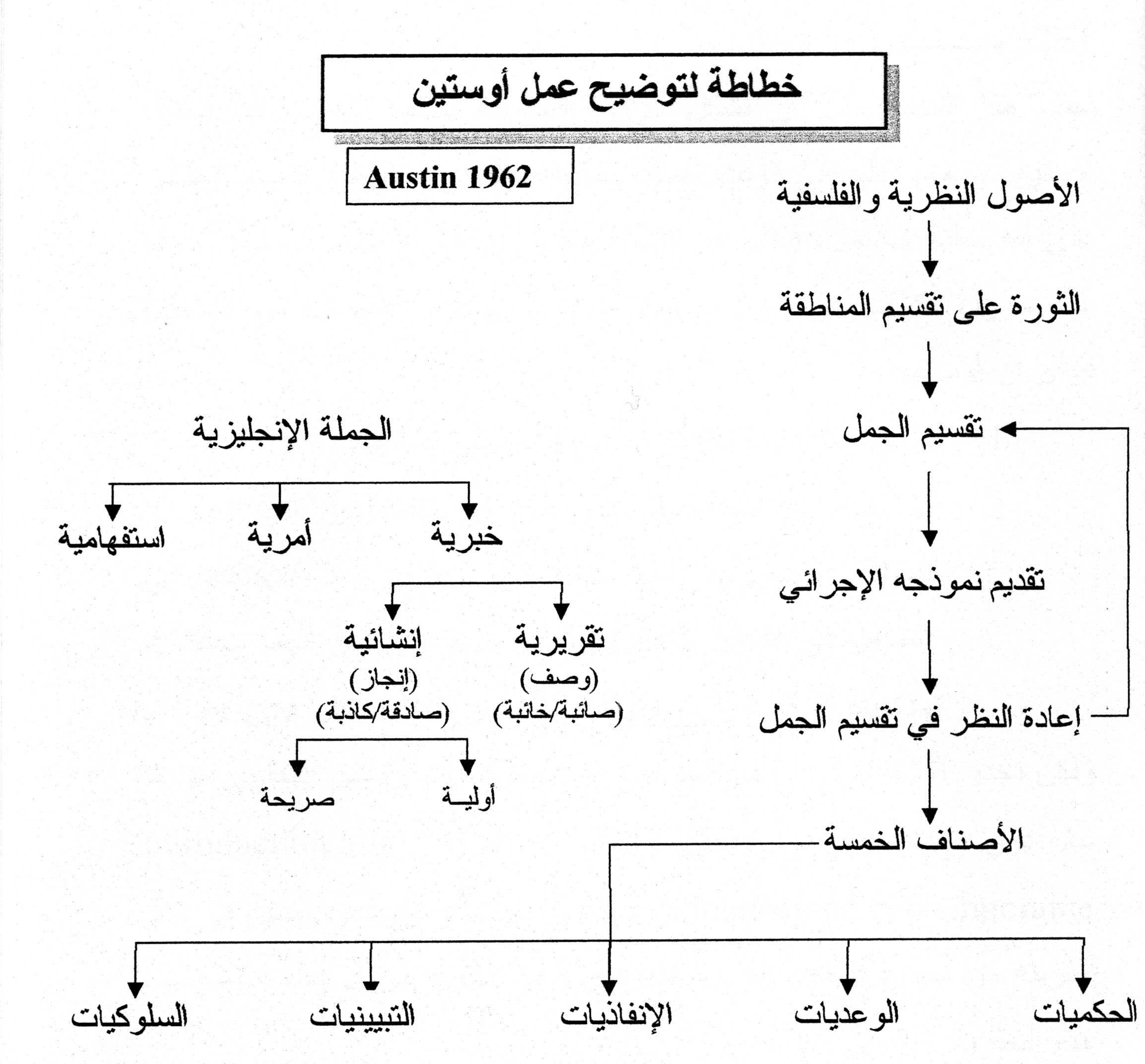
ومن هنا تبرهن أرمينكو على أنها أدركت بناء أوستين لتقسيمه للأفعال على قاعدة مراعاة العلاقة بين العلامات ومؤوليها، فعمل أوستين ينتمي إلى أصول المدرسة التخاطبية التي جاءت دراسات أصحابها « نتيجة طبيعية لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب في تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب ويمكن تلخيص أوجه الإخفاق فيه في أنه يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة، ويصبغ عملية التخاطب بطابع مثالي تتجاهل فيه قضايا اللبس، والخروج عن المواضعات اللغوية، وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ، وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلمين » [2].

وهذا ما أجمع الكثير من الدارسين عليه، أي رفض إقصاء عناصر لها أهميتها، ولا يستساغ اطراحها كالسياق، ومراعاة ما تفرضه المواضعات والمقاصد.

---

[1] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية. ص 80.
[2] أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، ص164.

خطاطة لتوضيح عمل أوستين



1-2- ســــــــورل Searle :

سعى هذا اللساني إلى أن يشكل الرؤية التداولية تشكيلا يخالف فيه أستاذه أوستين، ويعتمد عليه في الوقت نفسه، يخالفه بمقتضى ملاحظته لتقسيم أوستين على أنه مظنة للتداخل، فكثير من أفعاله يمكنها أن تندرج ضمن تصنيفين، ولم يفت سورل الكشف عن مبررات اتهام أستاذه بعدم الدقة المفضية إلى التداخل، فرأى أن أوستين:

1- لم ينظر إلى الأفعال في ذاتها، وإنما إلى ألفاظها.

2- لم ينتبه إلى أن الفعلين المختلفين في اللفظ غير المترادفين لا يحيلان بالضرورة على متضمنين مختلفين، إذ الاحتكام إلى الظاهر في الفعلين (أعلن) و(أمر) قد يفضي إلى أنهما مختلفان، ولكنهما قد يتساويان إذا لوحظ أنه يمكن القول: أعلن فلان أمرا[1] .

ولكن تجدر الإشارة إلى أن من المراجع من يجعل موت أوستين المفاجئ هو ما حال دون إتمامه عمله في الأفعال اللغوية، جاء في : " Introduction à la linguistique contemporaine " : « إن موت أوستين هو السبب في خلو نظريته من بعض مظاهر الكمال، لذا أتيح الأمر لجون سورل بعده لتكملة بناء هذه النظرية »[2]

وقد كان لتكوين سورل ذي الطابع الفلسفي العقلي حضور في ذلك التشكيل، ويتجلى ذلك من خلال محاولة لرسم حدود للنظرية التداولية تجعلها تدنو من اللغات الاصطناعية، وقد أدته قناعته إلى أن التنظير للسلوك اللغوي لا يمكن له أن يقدم نفسه إلا على أنه نظرية في (الفعل) (Acte).

---

(1) انظر: طالب طبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية ،ص 71

(2) Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P137.

تشكيل سورل للرؤية التداولية: يتحرك سورل في تشكيل رؤيته تحت عنوان (القول هو العمل)، وهو المبدأ الذي حمله على ما يسمى (تحليل الفعل الكلامي) فميز بين:

- **مفهوم فعل القول:** على أنه فعل التعبير عن القضية المراد إبلاغها.
- **مفهوم الفعل المتضمن في القول:** على أنه القضية عينها المراد إبلاغها، معبرا عنها بفعل القول.

ولكنه اشترط شروطا يجب توفيرها في القضية كي ينجح الإبلاغ، وفعل القول رأسا أحد هذه الشروط، ومن ثمة سمى سورل مجموع هذه الشروط (القوة)[1]، ويمكن أن يسمي كل شرط، على حدة، قوة وعلى سبيل التوسع، وإن لم يكن كافيا لإنجاح القضية، وطالما كان فعل القول شرطا من شروط تكتمل بها القوة المخبوءة فيه أو (المتضمنة في القول) فإنه بذلك -ومع كل كلام مفيد- يغدو محتوى في القوة المتضمنة فيه رأسا، وهذه القوة متضمنة في القول، ومن هنا عبر سورل تعبيره الشهير: إن السعي إلى تجريد المعنى القولي من القوة المتضمنة في القول هو سعي إلى تجريد الرجال غير المتزوجين من العزاب[2].

وعليه، لا تكتسب كل جملة صفة (مفيدة) حتى تحيل على توافر كل تلك الشروط ومنها القوى، فأيما جملة اكتفي بتلفظها حرفيا، وقوفا عند التلفظ فإنها تحيل على قوة واحدة فقط هي الفعل القولي.

---

(1) Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P138.& Oswald Ducrot et Jean-Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, p781.

(2) طالب طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، ص67.

ويبرهن سورل على أن (فعل القول) وحده غير كاف لتمييز المقصود من جملة (أفعال متضمنة في القول) محتملة بهذا المثال.

1 - سوف آتي.

2 - سوف آتي.

إن لـــ(1) و(2) فعل قولي واحد، ولكن (1) قد تحيل على: أخبرك بإتياني و(2) قد تحيل على: أعدك بإتياني، ومن هنا وجب تدخل محددات سياقية، وهذا ما حمل سورل على التمييز بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى السياقي، إذ ليست تحقق الجملتان (1) و(2) تواصليتها في لحظة التوقف عند المعنى الحرفي في السياق الصفري [1] وعليه، فقد نجح سورل في التفريق بين الدلالة والتداولية.

من هنا تكتسب رؤية سورل شرعيتها من مبدأ اشتراطه قوى أخرى تتأيد بها القضية كي تنجح في التواصل، ومن ثم تكون (مفيدة).

ويرهن سورل اجتماع القوى بسمتين لابد منهما، وهما: اللزوم والكفاية، إذ قد يكون الشرط لازما، ولكنه غير كاف منفردا، إن هذه الشروط يسميها غرايس (قواعد المحادثة) وديكرو (قوانين الخطاب).

شروط سورل: يضمن سورل هذه الشروط كتابا له، ألفه بالاشتراك مع زميله فاندرفكن عنوانه: (أسس منطق المتضمنات في القول):

1- **الغرض المتضمن في القول:** يتعين على كل (متضمن في القول) أن يتوفر على غرض وغاية، ويرى سورل أن شرط الغرض أهم قواه، لكنه غير كاف لأن ثمة (متضمنات في القول) قد تشترك في الغرض الواحد، ولكن هناك محددات أخرى قد تفرق بينهما مثل: أنكر/نفى، اللذين قد يشتركان في الغرض

---

(1) نظر: آرمنيكو، المقاربة التداولية، ص75

الواحد بدليل اعتبارهما مترادفين، إذ أن من كان غرضه الإنكار كان غرضه النفي، ولكن ذلك قد لا يثبت أمام محدد يضاف إليهما، ليكشف أن في (أنكر) ما ليس في (نفى).

2- درجة الشدة للغرض المتضمن في القول:

قد يتحد (متضمنان في القول) في كل الشروط، ولكن فارقا يفرق بينهما بجلاء هو قوة الضغط فيه، أي حدة ودرجة الكشف عن الغرض فأولى بـ:

(والله إني أحب العلم)

أن يتوفر على ما ليس في: (إني أحب العلم)

3- نمط الإنجاز: هو ما يتحدث عنه د/محمد محمد مفتاح تحت عنوان (الشروط التحضيرية)، ومعناه أن ثمة ملابسات ومقتضيات قد تفصل بين (المتضمنات في القول) المتساوية في (فعل القول) فاللواء الذي يأمر رقيبا بأمر ما، فأمره يستند إلى مقتضى الموقع السلطوي، وإن صدر الأمر عينه من الرقيب إلى اللواء، فقد يحمل على التوسل مثلا، أو لمقتضى إنساني بحت، أما الإلزام فيه فغير وارد ألبتة [1].

4- شروط المحتوى القضوي: نعبر عن هذا بضرورة توفر شروط تعمل على ربط (فعل القضية) بالقضية المراد نجاحها، وذلك من مثل شرط أن يكون الموعود به في فعل الوعد مستقبلا، إذ لا ينجح تداوليا فعل لغوي مثل :

- أعدك أني سأساعدك أمس

5- الشروط المعدة: ويسميها سورل (مفترضات القوة المتضمنة في القول) ويمكن التعبير عنها في ضرورة أن يكون المعبر عنه إما صحيحا وإما فاسدا، فالاعتذار عما هو حسن مثلا فاسد، نحو: أعتذر عن شرحي الدرس جيدا.

---

(1) تحليل الخطاب الشعري، ص141.

إذ الاعتذار يحيلنا على أن الأمر المعتذر عنه أمر سيئ، وهذا من شروط المحتوى القضوي.

6- شرط الصراحة: وهذا الشرط يتعين فهمه بوجوب النظر في ضرورة توفر المتكلم على حالة نفسية مطابقة لما يعبر عنه، فالذي يسأل من الضروري أن يتوفر على نفسية انتظار الجواب، ومن يأمر فإنه يتوقع تنفيذا، ولكن ثمة إشكالا ينشأ في حالة الكذب، أي عندما يعبر المتكلم عن نفسية لا يتوفر عليها.

7- درجة القوة في شرط الصراحة: وهذه ينسحب عليها ما ينسحب على شرط شدة الغرض، وأعيد أيضا أنه حري بـــ:

- أرجوك امنحني نقودا.

أن يتوفر على ما ليس في:

- امنحني نقودا.

فإنه إن يكن الثاني تسولا فإن الأول إلحاف [1].

- وصول سورل إلى تقسيمه:

تأسيسا على ذلك كله، يعن لسورل أنه قد تأهل لنسخ تقسيم أوستين وأصنافه ببديله الناسخ:

1- التقريريات: (Assertives): وغرضها التقرير وشرط محتوياتها القضوية أن يوفر المتكلم في كلامه شواهد على صدق ما يقرره وأما إن تعلق الأمر بالتقريريات السيكولوجية فهو الاعتقاد الشخصي للمتكلم.

2- الوعديات: (Commissives): وغرضها الوعد طبعا، وشرط محتواياتها القضوية هو أن يكون الموعود به مستقبلا، والقدرة على الوفاء.

---

[1] Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, Introduction à la linguistique contemporaine, P138/139.

3- الأمريات: (Directives): وغرضها طلب القيام بفعل ما، وشرط محتواها القضوي، ان يكون المأمور به مستقبلا- وهو ما لقي فيه سورل إشكالا في التقرير بينها وبين الوعديات ولكنه اهتدى إليه- وكذلك قدرة المطلوب على تحقيق ما طلب منه.

4- الإيقاعيات: (Expressives): وغرضها إحداث تغيير في العالم وشرط محتواها الحدوث الفعلي في الواقع.

5- البوحيات: (Béhabitive): وغرضها الإفصاح عن حالة نفسية ما، وليس للبوحيات شروط قضوية لأنها مرتبطة بنفسية المتكلم، إلا أن يقال لابد من توافر أسباب خلقت الجو النفسي سلفا أي قبل البوح به.

وأما عن صلة المحتويات القضوية بالعالم، فتظهر من خلال طرق أربعة:

1- اتجاه المطابقة من القول إلى العالم
2- اتجاه المطابقة من العالم إلى القول
3- اتجاه المطابقة المزدوج
4- اتجاه المطابقة الفارغ

وكل صنف من الأصناف الخمسة التي استقر عليها تقسيم سورل، المشكل لرؤيته، يتموضع داخل اتجاه من الأربعة:

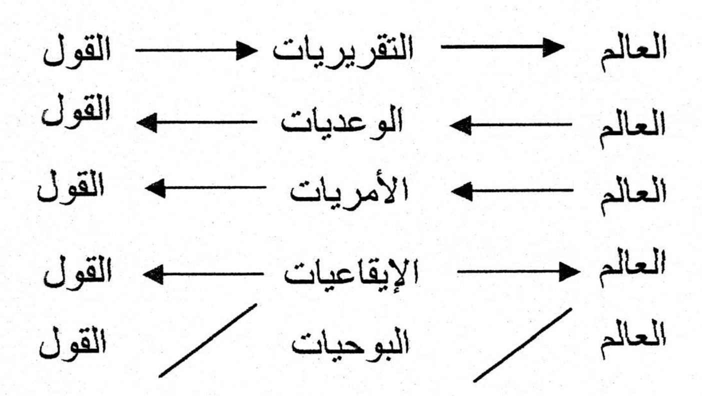
1- التقريريات: اتجاه المطابقة من القول إلى العالم
2- الوعديات: اتجاه المطابقة من العالم إلى القول.

3- الأمريات: اتجاه المطابقة من العالم إلى القول

4- الإيقاعيات: اتجاه المطابقة مزدوج

5- البوحيات: اتجاه المطابقة هو الاتجاه الفارغ.

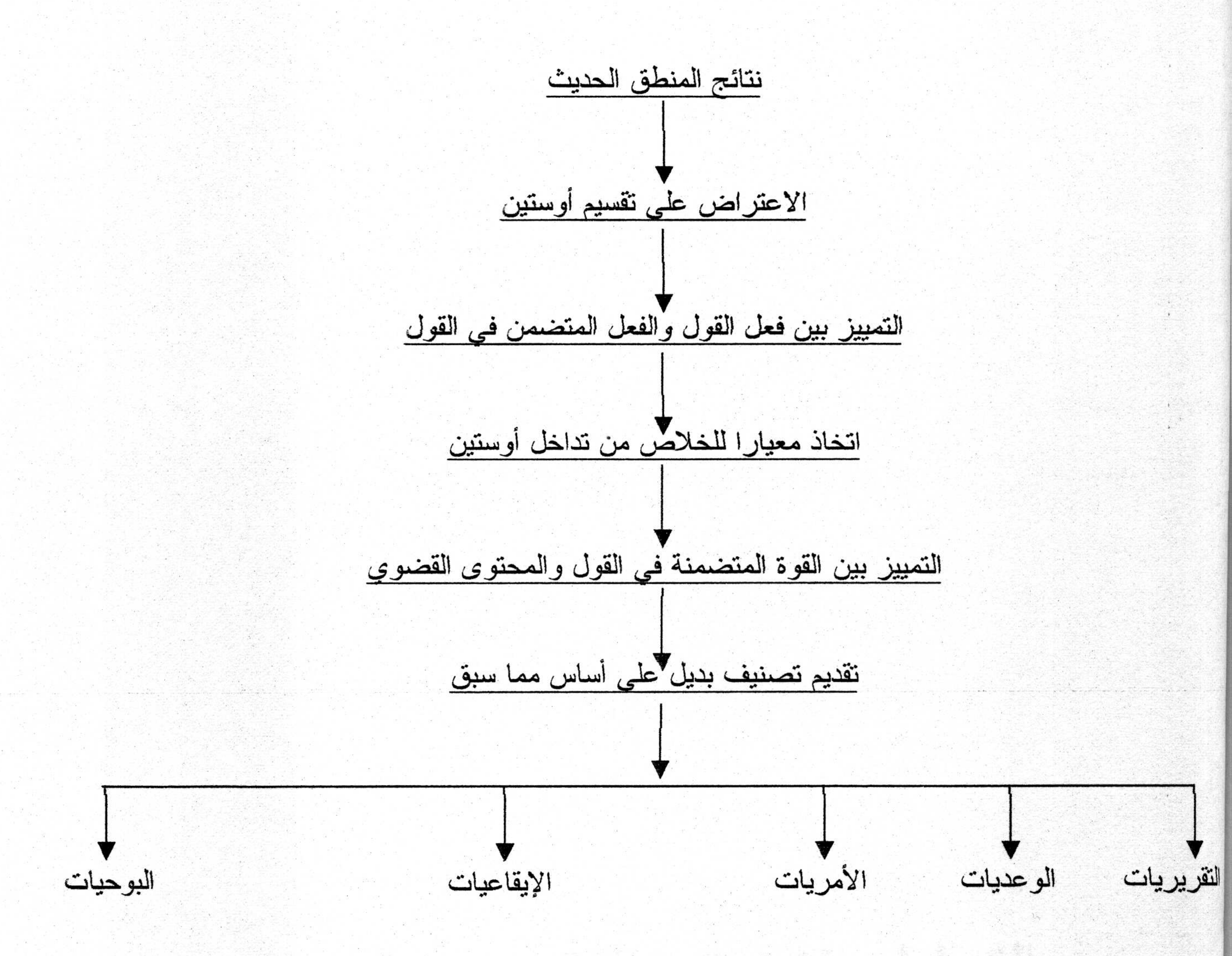
- وهذه خطاطة لكل ذلك:

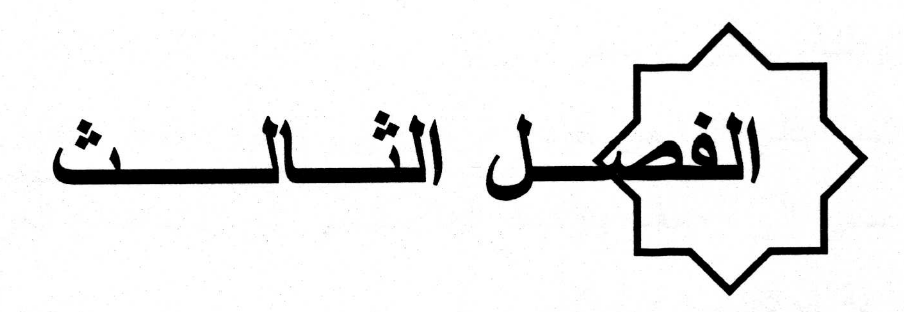


و تجدر الإشارة إلى اختلاف المراجع في المصطلحات الفرنسية وذلك راجع إلى انتسابها إلى مدرستين مختلفتين هما الفرنسية و الأنجلوسكسونية.

وأقدر أن في هذه الخطاطة تبيانا لأهم ما تم التعرض له في الفصل الثاني:

خطاطة لتوضيح عمل سيرل Searle 1969





الفصل الثالث

التحليل الإجرائي للأربعين الشحامية وفق منهجي أوستين وسورل

1. وفق تقسيم أوستين:

* **توطئة:** يعتبر أوستين تداوليا إجرائيا، يشار إلى نظريته في تقسيم الأفعال الكلامية على أنها من أقرب الرؤى إلى التناول العملي القابل للتنفيذ، وآية ذلك أنه سعى إلى رصف ورصد أفعال تنتمي إلى الاستعمال العرفي تحت تسميات تمييزية (حكميات، سلوكيات،..)

وإن لم ينج تقسيمه هذا من تناول نقدي من قبل تلميذه سورل بعده، بمقتضى ما لاحظه من تداخل بين تلك الأصناف أو الأنماط.

يعمد أوستين إلى تقسيم الأفعال إلى إنشائية وأخرى خبرية، ثم يركز نظره على التقسيم الثاني ليجد أن المتحكم فيه معيار الصِدق والكذب، ولكنه لا يبرهن على معياريته دائما، فثمة جمل خبرية الصيغة لا تخضع لهذا المعيار من مثل:

- قد عفوت عنك.

فالصيغة خبر، لكنها لاتقبل تصديقا ولا تكذيبا لكونها تحمل داخلها قياما بفعل لحظة النطق بها، فمن نطق بها فقد عفا آنا، وقد كان منطلق أوستين أمران:

1- التمرد ضد التقسيم التقليدي الموروث عن المناطقة القدامى.

2- الانطلاق من التقسيم الإنجليزي للجمل على أنها:

- خبرية.
- أمرية.
- استفهامية.

ويسمي أوستين هذه الجمل المتضمنة لآداءات فعلية مؤداة مع القول (جمل إنشائية). وقد لاحظ أن الجمل الإنشائية الإنجليزية على سمتي:

- توفرها على فعل ذي صيغة مضارعة.
- إسنادها للفعل إلى ضمير المتكلم المفرد.

كما لم يفته ملاحظة أفعال قد لا تتوافر على السمتين لكنهما تندرجان ضمن الأفعال الإنشائية من مثل:

- عفوا.
- شكرا.
- عذرا.

وهذه الملاحظة افترت عن تقسيمه لهذه الأفعال إلى:

- إنشائية أولية.
- إنشائية صريحة.

وفي الأخير يمكن الإشارة إلى أن ثمة ما قد يحسب لأوستين في تصوره وهو اعتبار الفعل الكلامي أصغر وحدة في بنية اللغة لا الجملة، فكل كلام أفضى إلى إنجاز فعل ما فهو فعل كلامي، ومن ثمة تتحقق وظيفة اللغة من خلال تأديتها إلى تحقيق أفعال[1].

أولا : الحكميات في الأربعين الشحامية:

إنها نمط من أنماط أوستين الخمسة، وتشير إلى كل فعل تضمن حكما أو إطلاق قيمة على واقع ما، ففي قول راوي الحديث مثلا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قام بفعل القول، وفي قوله (ص) : « **أفلح إن صدق** » فعل كلامي حكمي يتضمن منح قيمة المفلح لمن تحقق معه شرط الصدق.

وبناء على أن الفعل هو نواة الأفعال الكلامية، ونظرا لاتسامه بالتحول الزمني بين ماض وحاضر ومستقبل، فإنه يمنح حركية للحدث، ومن ثم فإن تركيزي

---

[1] انظر: أرمنكو، المقاربة التداولية، ص80.

عليه سيكون ملحوظا- إن وفقت إلى ذلك- في أثناء العمل التحليلي الذي خططت له أن يكون على هذا النحو:

1- أنتخب من الأحاديث ما أقدر أن في نصه أكثر استجابة لتحليل تداولي أكثر عمقا، مع ترك بعضها لاندراجها ضمن السابقة
2- أعرض نص الحديث كاملا.
3- أرصد ما فيه من أفعال تنتمي إلى الصنف المتعامل معه.
4- أسعى إلى تبرير اعتماد أفعال الصنف دون غيرها أو غلبتها على غيرها.
5- أسعى إلى الكشف عن المقتضيات الجمالية للجمل والأساليب [1].

الحديث الثالث:

عن عثمان بن عفان (ض) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **أدخل الله الجنة رجلا كان سمحا بائعا، ومشتريا، وقاضيا، و متقتضيا** » [2].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــال
المضارعة	00	//
الماضية	02	أدخل، كان
الأمرية	00	//

وفي الحديث فعلان (أدخل، كان) وكلاهما ماض، وفيهما حكم على من تحلى بالخصلة الواردة فيه في جميع تلك الأحوال، بأنه من أهل الجنة، وقد جاء الفعل (أدخل) ماضيا لتعجيل الجزاء لذي السماحة وتحقيقه حتى لكأنه دخل الجنة

---

[1] الدكتور عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجة البلاغية، ص389.
[2] أربعون حديثا، ص28. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (1/58-67-70)، والبخاري في التاريخ الكبير (467/2/1)

من دون ريب، فالحديث قد ينزل منزلة قوله تعالى: ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ [1] فالساعة التي تضامت أشراطها وتوافرت أصبحت في حكم ما أتى لا ما سيأتي، فكذلك من قد اتضح فيه خلق السماحة في تلك المقامات فقد استحق الجنة وصار في حكم من دخلها لا من سيدخلها، وفي ذلك تحقيق لعنصر التأثير وبعث اليقين في نفوس العابدين من الحصول على الجزاء، ويدرسه المعتنون بالحديث بلاغيا في باب (الترغيب بالوعد) [2].

وقد يحمل جريان الفعل (أدخل) على المضي لاعتبار معنى الدعاء فيه، وهو من باب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ففيه يقين باستجابة الله من أنه سيدخله حتى لكأنه دخلها، يقول الدكتور عز الدين علي السيد: « ونرى الطلب في البيان النبوي بصيغة الماضي، إشعارا وتفاؤلا أو إنذارا بتحقق المطلوب كأنه قد وقع، وأكثر ما يكون ذلك في صيغ الدعاء ترغيبا أو ترهيبا» [3].

والجملة (أدخل الله الجنة) فعلية تقريرية، ترمي إلى تحقيق المعنى في الذهن، وفيها إيجاز رائع، زاده إسقاط حرف التعدية جمالا، إذ لم يقل: « أدخل الله إلى الجنة أو فيها» فعدى الفعل بالنفس لا بالحرف تعجيلا بالجزاء الجميل وإسراعا للنفس بالخبر لتحقيق مبدأ التأثير من خلال الترغيب في التخلق بما يدعو إليه الحديث.

والفعل (كان) محذوف المتعلق فلم يقل (كان في الدنيا) مثلا، للدلالة عليه ولإطلاق الزمان ليشمل كل الأحوال الدنيوية ومواقفها.

ونجد الاسم ذا نصيب في الحديث (قاضيا، مقتضيا، بائعا، مشتريا) وكلها أسماء فاعلين، وفيها معنى الديمومة أي الثبات على الخلق والتمسك به دون تلون، لذلك يسمي الكوفيون اسم الفاعل فعلا دائما أي غير محدد بزمان ووقت.

---

[1] سورة النحل، 01
[2] الدكتور عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجة البلاغية، ص389.
[3] الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص355.

وهنا يظهر مبدأ المقصدية التداولي، فالثبات على السماحة في كل تلك الأحوال هو مرام النبي صلى الله عليه وسلم ومراده، فاصطفى لمراده ما يدل عليه، عنيت الفعل الدائم المستمر في الثبات، إذ ليس يتحقق دخول الجنة فيما لو التزم الرجل بالسماحة في حال دون حال.

الحديث الخامس:

عن مالك بن أنس، عن أبي سهل، عن أبيه، قال: **سمعت طلحة بن عبيد الله يقول: « جاء رجل من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، فقال: خمس صلوات في يوم وليلة، قال هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وصيام شهر رمضان قال: هل علي غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة قال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وقال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: أفلح إن صدق »**[1].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــال
المضارعة	09	نسمع، نفقه، يقول، يسأل، تطوع (3 مرات)، أزيد، أنقص
الماضية	18	جاء، دنا، قال (12مرة)، ذكر، أدبر، أفلح، صدق
الأمرية	00	//

(1) أربعون حديثا، ص34 والحديث صحيح، أخرجه أحمد (1/162)، والبخاري (46/2678 فتح)..

وحكميات الحديث:

- جاء رجل.
- نسمع دوي صوته.
- نفقه ما يقول.
- يقول.
- حتى دنا.
- هو يسأل.
- فقال.
- تطوع.
- وذكر له رسول الله.
- فأدبر الرجل.
- أزيد على هذا.
- أنقص منه.
- أفلح إن صدق.

- يحتل الفعل المضارع المرتبة الأولى في الحديث، فهو سبعة أفعال (نسمع، نفقه، يقول، يسأل، تطوع، أزيد، أنقص) والمضارع دال على الحال والاستقبال فهو أكثر اتساعا من الأمر مثلا، وفيه نقل للسامع إلى مقام الحديث، فيستقبله على أنه حدث كأنه مشارك فيه، وفيه دعوة للمتلقي لأن يشارك بحواسه في صنع الحدث، فنحن ما سمعنا وانقضى الأمر، مما قد يخلق مسافة زمنية بين الحدث ومتلقيه، وإنما نحن (نسمع دوي صوته)، وأنت تسمع معنا –أيها المتلقي– الآن، وتكاد تستشعر في أذنيك دوي صوته، فتنغمس في الموقف

وتشتغل بهذا الدوي الآخذ في الدنو حتى تقطع استرسال انشغالك (إذا) الفجائية

لتجعل من الرجل يستفز فيك حاسة البصر أمامك فمن (رسول الله)

إن من سيعتصم، وصح القصد منه بذلك –فإن الله تعالى سيعاجله بالجزاء الطيب قبل الشروع في عمله، فالهداية لن تقع بل قد وقعت وانقضى الأمر، وفي الماضي دلالة على تحقيق المعاني وتقريرها في النفس، فإلى أي مدى كان الرجل مؤدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل فكر في أن لا يخاطب المصطفى حتى يدنو؟ بل قد دنا وقضي الأمر، وفيه معنى تداولي رائع يتجلى في الشهادة للرجل بأنه (دنا) أي أنه ما استهل أسئلته حتى تحقق من إمكان سماع النبي صلى الله عليه وسلم له، ونسجل غيابا لفعل الأمر في الحديث، وفي ذلك ملمح تداولي آخر، إذ في الأمر قرع للنفس بما لم تأنس بمعرفته بعد، وإشعار لها بالإلزام قبل اكتمال الدراية، فلا أمر لمن لم يبد جاهزية بعد، والرجل كان بعيدا عن مقام التعريف بهذه المسائل فهو يقطن عمق الصحراء، إنه من أهل نجد، ونجد تتوسط أرض الجزيرة بين الحجاز وصحراء النفوذ، فيسجل النبي صلى الله عليه وسلم مراعاته لمبدإ مقام المتلقي ومستواه، ويشير الدكتور أحمد محمد العليمي إلى براعة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بما يسميه (الخبرة بالنفوس) فيقول: « كان صلى الله عليه وسلم يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين والسائلين، فيعطي كل واحد حسب حالته، ومدى استيعابه، ومن المبادئ الأساسية أن الناس غير متساوين، وغير متجانسين في العمر، والقدرة، والخلفية الثقافية، والاهتمامات، والجنس، والبيئة، والمستويات الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها من عوامل التأثير، فكان يراعي ذلك كله »[1].

فمراعاة المستوى متحققة، والنظر إلى البيئة متحقق أيضا فالرجل ثائر الرأس بما يشير إلى كثرة الضرب في الأرض، وهو من نجد أي أن للترحال حضوره في حياته، فهو غير مدني قار، وطلب الرزق يحمله على كثرة الأسفار، وكذا طلب التفقه في الدين، والمدينة بعيدة عنه، وكل ذلك ليس يتحقق

---

[1] طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص81.

إلا في مساحة الوقت وعلى حسابه، فقضى حاله بأن لا يثقل كاهله بالكثير من النوافل والعبادات التطوعية لئلا تصرفه عن الضرب في الأرض، معتمد رزقه، فيكون في ذلك هلكه، والرسول رحمة للعالمين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم** »[1].

والنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغل إقبال الرجل، فحافظ على روح الحوارية معه فأقصى من كلامه فعل الأمر (زد)، مثلا، عقب كل إجابة كي لا يحمل السائل على ما لا يريد الخوض فيه، ويتنامى حوار النبي مع الرجل إلى أن يبلغ منتهاه المتمثل فيما تحدث عنه د/العليمي تحت عنوان (التعليم بالتقويم) وهو تصنيف العمل ضمن النسق القيمي الإسلامي، كي يرغب فيه أو يزهد فيه يقول: « من منهجه صلى الله عليه وسلم التقويم للأعمال والأفراد، يشجع على الصواب، ويوضح الخطأ ويبينه، حتى لا يقع أحد فيه مرة أخرى »[2].

أما على مستوى الجمل، فالغالب عليها ورود الجمل التقريرية الوصفية، وفي ذلك ملمح تداولي من خلال المقام السردي للحديث، فهو مقام تصوير موقف تعليمي، وأما الطلبية فقليلة رغم طبيعة المقام وجاء منها الاستفهام:

- هل عليَّ غيرها؟

وتتكرر ثلاث مرات بالصيغة نفسها.

ومن خلال جملة الاستفهام هذه يكشف المتعلم عن رغبته في التعلم، فلم يكتف بالسؤال الأول ليميل إلى الأخف، وإنما الغرض منه استقصاء كل ما هو مطالب به، وهنا يظهر مبدأ شرط الصراحة الذي يتحدث عنه أوستين كضرورة

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده

(2) طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص131.

لتحقيق المحتوى القضوي، فالرجل بالنظر إلى الحاجة في السؤال يصرح برغبته في التعلم والتفقه، ونلاحظ في إجابات النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصار على المسؤول عنه فحسب، دون إطناب، وتلك من أمارات بلاغة الرجل الذي يعي ضرورات التعليم، ففي الإطالة تنفير للنفس، وهو يستهدف التأثير الإيجابي، والتقليل إغراء بخفة المطالب، ومن ثم شعور بالقدرة على الاستجابة.

يقول الدكتور رمزي نعناعة: « وقد رسم عليه الصلاة والسلام منهاجا سويا إذا سار عليه الناس أبقوا على أنفسهم وتمكنوا من مواصلة العمل وظفروا بما يبتغون من مثوبة وجزاء، وكان صلى الله عليه وسلم لا يكلف الناس عسرا يتأذون به وتململ به نفوسهم »[1].

إن هذا لمما يتوافر على روح تداولية في الحديث النبوي الشريف بعامة، ومنه هذه الأربعون التي اختيرت لمقتضى نفعي مصلحي، يمكن الناس من تحصيل خلاصة مبادئ دينهم من سبيل يسيرة.

الحديث السابع والعشرون:

عن حذيفة بن اليمان (ض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« كان رجل سيئ الظن بعمله، فقال لأهله: إذا مت فحرقوني، ثم اطحنوني، ثم اذروني في الريح، في يوم عاصف، فإنه إن قدر علي لم يغفر، قال: ففعل ذلك به، فجمعه الله، فقال: ما حملك على ما صنعت، قال: مخافتك، قال: فغفر له»[2]

---

[1] من هدي السنة، ص67.

[2] أربعون حديثا، ص110 والحديث صحيح، أخرجه البخاري (6480)، والنسائي (2080/113/4)

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	01	يغفر
الماضية	09	كان، قال (4 مرات)، قدر، حمل، صنع، غفر
الأمرية	03	حرقوني، اطحنوني، اذروني،

أفعال الحديث (كان، قال، مت، حرقوني، اطحنوني، اذروني، قدر، يغفر، فعل، جمعه، فقال، حملك، صنعت، قال، قال، فغفر).

الحديث متحرك بحكم ثرائه بالأفعال، في مقابل الأسماء إذ الفعل حدث مصحوب بزمن يتحركه داخله، ولا غرو فالحديث ذو روح قصصية، والأفعال تنفخ فيه الحياة، كي يتسنى الانخراط فيه شعوريا وعاطفيا، مما فيه مدعاة للتأثر ومن ثم الاصغاء، فالاقتناع، فالعمل بموجبه، وهذا عمل تداولي يتوخى الوصول إلى مصلحة في النهاية، وهي توجيه أفعال المؤمنين.

ويبدو على الفعل الماضي الدال على التقرير حضوره الملاحظ، وذلك ما يقضي به الطابع القصصي، والبدء بالحكم على أمر الرجل بأنه (كان) إيحاء بتاريخية القصة، وفيه تنبيه إلى ما ينطوي عليه الماضي من عبر ومواعظ، وتلك طريقة استغلها القرآن واستثمرها فقص عن أنبياء الله ما هو معروف بين دفتي المصحف: ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب** ﴾ [1].

وفي إسناد الفعل إلى نكرة (رجل) ترفع عن الخوض فيما لا غناء فيه، من نحو اسم الرجل ومكانه وزمانه، لئلا يكون في ذلك صارف عن لب الرسالة الموجهة، وهو العظة. وتلك أيضا من خصائص الأسلوب القصصي القرآني، والتعليم بإيراد القصص من طرائق تعليمية، عمد إليها رسول الله صلى الله عليه

---

[1] سورة يوسف/ ١١١.

وسلم، على أن ثمة من العلماء من لا يرى في قصصه صلى الله عليه وسلم مجرد بناء فني من نسج الخيال الخلاق وإنما هي قصص لها مراجع في الواقع، يقول الدكتور أحمد محمد العليمي: « والقصة في القرآن والسنة حقيقة لا خيال لأن القرآن كلام الله منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لايعنى بالواقع التاريخي ... وكذلك ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وصح عنه، فهو لا ينطق عن الهوى »[1].

والرجل في قيمة محددة، وهي أنه سيئ الظن بعمله، والإعلام بكونه كذلك تمهيد تعريفي بشخصية القصة، وأهميته في أنه بؤرة الهدف من سوقها، إذ المراد هو استنكار سوء الظن بالعمل وعدم الثقة في غفران الله، وهذه أزمة نفسية يرمي النبي إلى مداواتها بالثقة، وتتوالى الأفعال الماضية لتسرد وقائع القصة فالرجل قال لأهله، فأجيب إلى طلبه، واعتقد أنه قد ينجو ولكن القادرعلى كل شيئ جمعه كما جمع عظام حمار عزير عليه السلام، وسأله عن السبب –وهو العالم به– فأجاب، وشكر الله عمله بالغفران.

ولكن للجملة الطلبية أيضا حضورها في نص الحديث، فـ(حرقوني) و(اطحنوني) و(اذروني) كلها أوامر تحيل على وجود شرط من شروط المحتوى القضوي، وهو القدرة على الفعل، ثم إن الرجل طلب من أهله ذلك، لأنهم إن علموا المقصد من فعله أجابوه إلى طلبه شفقة به ورحمة، فيما لو كلف غيرهم استثقل ذووه رؤية ومعاشرة من حرقوا قريبهم، وفي هذا استكشاف لملامح عمل تداولي ناجح في صوغ رسالة من خلال مراعاته لما يضمن وصولها ثم تحقيقها، ويلوح مظهر تداولي آخر في تذييل الشرط بجوابه في (إنه إن قدر علي لم يغفر) وعلى الرغم من أن في جملته هذه ما يحمل على الشك في قدرة الله عليه إلا إنه لم يراع في النهاية، حتى لكأن

---

[1] طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص110.

الخشية من الله تغطي ذلك الريب، ويظهر الإيجاز في جمله، إيجاز يعبر عن سرعة الوصول بالمتلقي إلى نهاية القصة دفعا لسأمه، وبيانا لعظيم قدرة الله:

- ففعل ذلك به.
- فجمعه الله.

وتأتي الجملة الاستفهامية (ما حملك على ما صنعت؟) لتعبر عن فعلين:

- حملك.
- صنعت.

ففي الأول إشارة إلى وجود سبب محترم بدليل مجازاته فيما بعد، جعل الرجل يصنع ما صنع، وفي السؤال عن السبب تعبير عن الحوار البناء، الذي بنى النتائج على مقدمات مصرح بها، لا تعجيل فيه بالمجازاة دون مبررات تذكر سلفا، تسوغها، ويأتي جواب الرجل في غاية الإيجاز الرائع: (مخافتك) وفيه دعوة إلى التركيز على جوهر الحدث دون غيره، لأنه روح القصة: (مخافتك) وجاء بصيغة اسمية للدلالة على الثبات المجرد عن التقيد بزمان مثل ما هو في (خفتك) أو (أخافك) إذ هي مخافة مطلقة، فيقابل الإيجاز بالإيجاز في (فغفر له) دون الخوض في: فجعل الله في خوفه مسوغا للتغاضي عن شكه وقتله نفسه فغفر له. وتلك من أمارات الرسالة الناجحة.

يقول الرافعي عن البلاغة النبوية في كتابه (البلاغة النبوية): « وأما القصد والإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظها ... فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية »[1].

ويحقق هذا الحديث تداوليته بموجب ما يدعو إليه، من أن نعبد الله واثقين، وبموجب ما يعظمه فيه من فضيلة خشية الله تعالى.

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص229.

على أن ابن قتيبة يشير في كتابه (تأويل مختلف الحديث) إلى أن ثمة من النحل من عد الرجل في هذا الحديث كافرا، ثم ذهب إلى أنه تكفير مدفوع غير ذي وجه، فقال: « وهذا رجل مؤمن بالله، مقر به، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذا أحرق، وذري في الريح أنه يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته تأنيبه، وبمخافته من عذابه... وقد يغلط في صفات الله تعالى قوم من المسلمين ولا يحكم عليهم بالنار »[1] .

فذهب ابن قتيبة إلى أن خوف العقاب يعني الإيمان بالله تعالى ضمنا، وأن القيامة حق، والحساب حق، والعقاب حق.

---

[1] تأويل مختلف الحديث، ص111.

ثانيا : الانفاذيات في الأربعين الشحامية :

وتتضمن إشارة إلى استعمال الحق أو القوة والسلطان كنحو: عين، صرح، نهى، أمر، كلف...

وتتسم الأفعال الكلامية الإنفاذية بإنشائية أساليبها، فجملها ندائية واستفهامية وأمريه وناهية:

الحديث الرابع والعشرون:

عن عمران بن الحصين قال: قام شابان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: **« يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه، أفي أمر جرت به المقادير فجفت به الأقلام، أم في أمر نستأنفه، قال: بل في أمر جرت به المقادير، وجفت به الأقلام، قالا: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، قالا: الآن نجد ونعمل »**[1].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	04	يعمل، نجد، نعمل، نستأنفه
الماضية	~~09~~ 10	رأيت، جرت (مرتان)، جفت (مرتان)، قال (3 مرات)، خلق
الأمرية	01	اعملوا

تنوعت أفعال الحديث بين المضي والمضارعة والأمر، تنوعا تبرره حركية الحديث وسؤال الشابين عن أمر قضي الحكم فيه في مقادير الله قبلا، والذي سيؤسسان عليه سلوكهما فيما سيستقبل من الزمان.

وأما أساليبه:

[1] أربعون حديثا عن أربعين شيخا، ص103. والحديث صحيح، أخرجه الخطيب في (الموضح) (130/1).

- يا رسول الله نداء
- أرأيت ما ...؟ استفهام
- ففيم العمل؟ استفهام
- يا رسول الله نداء
- اعملوا أمر

يستهل الحديث بنداء رسول الله للفت الانتباه، ومراعاة لما في النداء من تحبب للمتكلم معه، يقول الدكتور رمزي نعناعة: « والنداء بـ(يا) للبعيد، والرسول معهم ، وليس بعيدا عنهم، والنكتة هنا التلذذ بذكره صلى الله عليه وسلم واستعذاب لمخاطبته »[1] ، ونودي النبي بالرسالة، تركيزا على الجهة المبتغاة فيه، فهما يحادثانه باعتبار كونه رسولا، وهو مما فيه ملمح تداولي وهو تكييف الخطاب مع طبيعة المتكلم معه، وفيه ملحظ القدرة على الإجابة وتنفيذ الطلب، وهو من شروط تحقيق المحتوى القضوي للفعل الكلامي.

ثم يأتي السؤال عن أعمال الناس، وهو يندرج ضمن مسائل العقيدة المتعلقة بخلق أفعال العباد، أهي مسطرة سلفا ولا مجال لتغييرها بعمل إنساني إذ لا مبرر لهذا العمل الذي لن يقدم ولن يؤخر، أم أن العمل نتيجة سعينا، والسؤال ناجح تداوليا لتوفره على بديلين للإجابة، فهو ييسر الإجابة ويحدد نطاق التساؤل ولذلك انتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشق الصواب، ويعيده بلفظه ومعناه.

ويرد السؤال الثاني الناتج عن الإجابة، ففيم العمل يا رسول الله؟ ويذيل بإعادة النداء تحببا له صلى الله عليه وسلم وإلحاحا على معرفة الإجابة، وتأتي الإجابة في صيغة جملة أمرية: (اعملوا) والأمر دليل على طلب ما هو مصحوب بالقدرة على إتيانه، كما أن توجيهه هنا جاء بصيغة الأمر المباشر

---

[1] من هدي السنة، ص09.

للدلالة على حسم كل تردد، وقطع كل خيار للمكلف[1] ، وتكرار الشابين لندائه صلى الله عليه وسلم دليل الإيمان القوي، مما فيه إغراء بإمكان توجيه الأوامر دون تحرج، ولا يفوت النبي صلى الله عليه وسلم ما يستوجبه الأمر من تبرير أو تعليل يعين على تسويغه لدى المتلقي، ومن ثم تطبيقه والعمل بموجبه، فيقول: « فكل ميسر لما خلق له » ولذلك تواجهنا استجابة الشابين الفورية: « الآن نجد ونعمل »، وسيعمل الشابان بعد أن استقر لديها الجواب (بل في أمر جرت به الأقلام) الذي كرره النبي لفظا ومعنى كي يحتفظ به المتعلمان والتكرار فعال تداوليا، لأن فيه معنى التثبيت، لذلك كثيرا ما لجأ الرسول إليه في مهامه التعليمية.

الحديث الثامن والثلاثون:

وعن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قالوا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: يتمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف** »[2].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــال
المضارعة	05	تصف (3 مرات)، يتمون، يتراصون
الماضية	02	قال (مرتان)
الأمرية	00	//

جميع أفعال الحديث مضارعة (تصفون، تصف، تصف، يتمون، يتراصون)

---

(1) د/رمزي نعناعة ، من هدي السنة، ص55.. والحديث صحيح، أخرجه مسلم (430) وأحمد (101/5)

(2) أربعون حديثا، ص135.

ما خلا الفعل (قال) مسندا إلى المفرد الغائب مرة و إلى جماعة الغائبين مرة أخرى وليس في الحديث بيان لأمر قد مضى وانقضى، وإنما لا يزال إلى الآن وإلى الأبد ويرجى أن يكون عليه المسلمون في مستقبل الأيام، لذلك استهل خطابه صلى الله عليه وسلم بسؤال بالنظر إلى أنهم يجهلون سلوكا تعبديا له خطره، وهو الاصطفاف في الصلاة، والسؤال بدءا لأن فيه تشويقا للمعرفة، يقول الدكتور عز الدين علي السيد : « والرسول الكريم عليه السلام يتخذ من الاستفهام بابا واسعا لتقرير المعاني ولزيادة المعاني، فكم جاء استفهامه تشويقا للسامع وقسرا لانتباهه أو استدراجا وتقريرا» [1].

فرسول الله يكتفي بأسئلة أصحابه فقط، فهو لا يتوقع سؤالهم إياه في كل شيئ، خصوصا إذا تعلق الأمر بالغيبيات وما يتصل بتفاصيلها، وهو المطالب بالتبليغ، فيعبر النبي عن مبادرته في التعليم ورغبته فيه، فيخاطبهم بالجملة الاستفهامية استدراجا لهم للتزيد من المعرفة، وهذا سلوك تداولي لا يهتدي إليه غير البليغ الحصيف.

وينجح السؤال في إصابة هدفه، فيهرع الصحابة إلى السؤال: « وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ » وهكذا يجيب النبي بالفعلين المضارعين (يتمون) و(يتراصون) للتعبير عن إرادته تحقيق ذلك في مستقبل أيامهم، فكأني به صلى الله عليه وسلم يقول: « فإني بعد ذلك أريد أن تتموا وتتراصوا. وهذا من مهارات الأستاذ الحاذق العارف بما عليه من مستلزمات مهامه المتمثلة في التعريف بالناس بدينهم وتوجيههم إلى سبل الخيرات »[2].

---

[1] الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص361.

[2] انظر: الصابوني، من كنوز السنة، دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف، ص177.

ثالثا : الوعديات في الأربعين الشحامية :

وهي تحيل على إلزام المتكلم نفسه بالقيام بفعل ما، من نحو: وعد، نذر،...

الحديث السادس والثلاثون:

فعن أبي ذر قال: « **أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة جالس فلما رآني أقبلت قال: هلك الأكثرون ورب الكعبة، هلك الأكثرون ورب الكعبة قال: فأخذني غم، وجعلت أتنفس فقلت: هذا شيء حدث، قلت: من هم فداك أبي وأمي؟ قال: الأكثرون إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وخلفه، وقليل ما هم، وما من رجل يموت ويترك إبلا أوغنما، لم يؤد زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، حتى تطوءه بأظلافها، وتنطحه بقرونها حتى يقضى بين الناس ثم يعود أولها على آخرها** »[1].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعــــــــــال
المضارعة	08	أتنفس، يموت، يترك، يؤدي، تطوءه، تنطح، يقضى، تعود
الماضية	~~14~~ 16	أتيت، رآني، أقبلت، قال (5 مرات)، هلك (مرتان)، أخذني، جعلت، جاءت، كانت
الأمرية	00	//

تتنوع أفعاله بين المضارعة والمضي، فغلب الماضي على مقدمة رواية أبي ذر لأجل الطابع القصصي (أتيت، رآني، أقبلت، هلك، أخذني، جعلت، قلت، قال،...)

[1] أربعون حديثا، ص133. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (152/5)، والبخاري (6638/فتح).

واستأثر المضارع بالتعبير عما سيكون عليه حال هذا الصنف من الناس الذي يتوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلك. (هلك (وهو مصروف عن مقتضى الظاهر) يموت، يترك، لم يؤد، تطؤه، تنتطحه، يقضى، تعود).

وجاءت جملة (هلك الأكثرون) فعلية لا اسمية دالة على الثبات كمثل، (الهلاك للأكثرين) كي لا يبعث الكلام على اليأس، وإنما يستهدف الخطاب الترهيب مع إبقاء إمكانية العمل على النجاة، يقول د/ عز الدين علي السيد: « هذه الأفعال التي ذكرت بصيغة الماضي لا يختص الجزاء المذكور بعدها بما وقع منها بعد إخباره عليه السلام بها، فالحكم منسحب على الحاضر والمستقبل، ومعنى هذا أن مدلولَها الزمني غير مقصود، فهي مطلقة من المضي مخالفة لظاهر الوضع وسر العدول عن التعبير بفعل الحاضر أو المستقبل هو تأكد حصول الجزاء المترتب على الفعل في مقام الترهيب والترغيب، تصويرا له صورة الواقع ليجتنب أو ليلتزم »[1].

ونلاحظ الوعد بالهلاك مكررا، لتوكيده وتثبيته، وتنبيها بخطورة المسألة وبعثا لفضول الصحابي للتعرف على السبب، ومن هم الموعودون بذلك فتتجلى عبقرية رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال تصعيد اندهاش السائل فيكرر: الأكثرون، ثم يترك متنفسا لصاحبه بهذا الاستثناء (إلا من قال) ولكن الكشف عن الهالكين لم يحصل بعد، إنهم الممتنعون عن الزكاة، فبم يوعدون؟ بالهلاك؟ فالهلاك كلمة فضفاضة، بقلب ما يرونه نعمة نقمة عليهم فإن من لم يزك غنما له أو إبلا بنية تكثيرها، كثرت ولكن لتطأه، لتنطحه، ... وإن منهج الحديث تداولي ناجح من حيث تقديمه بما يجلب النفس، ثم بسطه لطبيعة المعصية، ثم ختامه بما يخيف السامع، بما يردعه، فإن الإبل أو الغنم التي استأثر بها دون مستحقيها ليست في شرع الله له، فها هي ذي تتبرأ منه يوم القيامة، لتلحق

---

[1] الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص352.

بأهلها، وقد اصطفى النبي ألفاظا دالة على أنه يقدر حدود الله حق قدرها، ويقيم الوزن، كبيرة الوزن لمراعاة أحكامه، فهو دائم الترقب لذلك كله، يقول الرافعي: « ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه »[1].

ورسالة الحديث ذات صبغة اجتماعية، تستهدف وضع برنامج راشد للتنمية، وتوزيع الثروات توزيعا يكفل الكرامة للجميع، وتحقيق هذا الهدف مرهون بكفاءة ملقن أسس هذا البرنامج واستراتيجيته، يقول محمد لبيب النجيحي: « إن رسم أي خطة تنموية، لايمكن لها أن تحقق أهدافها مهما توفرت لها من شروط وإمكانيات إذا لم تتوفر على المدرس الكفء »[2].

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص193.
(2) الأسس الاجتماعية للتربية، ص371.

رابعا : السلوكيات في الأربعين الشحامية :

يسمي أوستين سلوكيات كل فعل لغوي عبر عن وضع نفسي ما، تجاه واقع ما، فهو فعل إفصاحي، من نحو: ضحك، عبر، اعتذر، أعجب، سكت.

وكثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمد إلى تمرير رسالة ما عبر سلوك من السلوكات، ولعل سكوته فقط -والسكوت سلوك- عن أمر من الأمور أن يعد سنة في حد ذاتها باعتباره تقريرا وإقرارا غير منطوق بالأمر الذي سيكتسي صفة الشرعية بقرينة سكوته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذو قدم راسخة في انتقاء الألفاظ الدالة على السلوك، بحيث يبعث في النفس شعورا به، فتقبل عليه في مقام الترغيب، وتنثني دونه في مقام الترهيب.

الحديث السادس عشر:

فعن أبي هريرة (ض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك الجنة، أغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة وفعلت ما فعلت، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاه الله بكلامه تلومني على شيئ خلقه الله قبل أن يخلق السموات والأرض، قال: فحج آدم موسى**»[1]

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	02	تلوم،يخلق
الماضية	14	احتج، قال (3 مرات)، خلق (مرتان)، نفخ، أسكن، أغويت، أخرجت، فعلت (مرتان)، اصطفى، حج
الأمرية	00	//

[1] أربعون حديثا، ص78. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (152/5)، والبخاري (6638/فتح).

أفعال الحديث: (احتج، قال، نفخ، أسكنك، أغويت، أخرجت، فعلت، اصطفى، خلق، حج) وهذه أفعال ماضية، يعبر ماضيها عن الثوب القصصي للحديث (تلوم، يخلق) وهذان مضارعان يعبران عن الحوار الراهن بين النبيين -عليهما السلام-

وفي الأفعال الماضية تذكير من موسى لأبيه ومعاتبته له عما بدر منه قبل النزول إلى الأرض، رغم ما كان فيه من نعيم مقيم. وترتيب هذه الأفعال ناجح تداوليا. لأنه جار على مقتضى مقام الخطاب، عنيت تسلسل الأحداث:

فالله خلق ثم نفخ ثم أسكن ثم أغوى آدم ثم أخرج الناس ثم فعل ما فعل.

وهو ترتيب صاغه المصطفى على لسان الكليم -عليه السلام- يعبر عن مستوى المحاججة لديه إذ لم يشأ موسى عليه السلام تجميع نعم الله على آدم فحسب وإنما عرضها مرتبة ليكشف عن درايته التامة بطريقة إيجاده وحياته وسلوكاته ومن ثم فهو لا يلقي عليه باللائمة عن جهل، ليكون ذلك أحج وأدعى للغلبة.

ومستهل الحوار جملة إسمية (أنت الذي) لدلالتها على الثبات، ليكون ذلك دالا على اليقين والثبات، ويأتي رد آدم عليه السلام مستهلا بجملة اسمية مبتدأها الضمير وخبرها (موسى) ليعبر آدم عن معرفته أيضا بمحاوره، ويبين عن أن معرفة موسى بقصة خلق آدم ليست مدعاة للاستغراب فـ(أنت موسى الذي اصطفاه الله بكلامه) ومن ثم فأحرى بمن خصه الله بذلك أن يعرف ما عرفت، ولكن ألم تحط علما بزمان ذلك؟ وأنه قبل أن يقع في علمي أن الله سيخلق مني نسلا يسعدون ويشقون؟ وأنت الكليم لله تكليما، فكيف أرجأت السؤال إلى ملاقاتي؟ فإني ما وجدت للومك وجها.

إن ثمة توازنا أقامه النبي صلى الله عليه وسلم بصياغته البليغة بين كلام النبيين فكلاهما استهل بالتذكير المبرر للعتاب، ثم يضع النبي نتيجة المحاججة في خاتمتها في عبارة، هي الغاية من الإيجاز، تتضمن كلمات ثلاث (الطرف الأول: آدم والطرف الثاني: موسى، والنتيجة: حج)

وينتقي النبي صلى الله عليه وسلم الفعل (احتج) المأخوذ من الحجة لأنها مطلب النبيين اللائق بمقامهما، ولم ينتق (خاصم أو جادل) مثلا، فالحجاج سلوك ينبئ بعلو النفس، ونبل المقاصد، ثم عبر بـ(خلق) الدال على الإيجاد من العدم، ليذكره بأنه بنعمة الله وجد بعد أن لم يكن شيئا مذكورا، والإشراف على الخلق باليد فيه تشريف وتكريم، ثم (نفخ) لأن فيه إرسالا للشيئ بقوة مريدة، فأنت- يا آدم- لم تكن سهوا، بل أريد لك أن تكون، وزاد (فأسكنك) على زنة (أفعل) الذي فيه همزة الجعل، أي جعلك تسكن جنته، وهو يقصد إلى ذلك قصدا، ولكنك سلكت سلوكا غير معبر عن الشكر فـ(أغويت)، ولم يقل (أغريت) لأن في الإغراء إيهاما بالبديل الأحسن، ولم يكن ذلك مع آدم و(أغويت) كنت السبب في غوايتهم أي إبعادهم عما هو خير لهم وأبقى، فمع أن الشعر مظنة الحكمة بإقرار النبي إلا أن الشعراء يتبعهم الغاوون أي المبتعدون عن الأحسن إلى ما لا يخلو من حسن.

ويأتي التعبير بـ(تلومني) لا بـ(تعاتبني) لأن في اللوم ما ليس في العتاب، فاللوم كما يقرر أبو هلال العسكري هو: « تلبية الفاعل على موقع الضرر في فعله وتهجين طريقته فيه» [1].

وهو ما حصل مع موسى عليه السلام، فهو لا يرمي إلى اتهام أبيه بتضييع حقوق أو إساءة تنم عن عداوة ومقت، وذلك ما في العتاب يقول

---

(1) أبي هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص43.

العسكري: « العتاب هو الخطاب على تضييع حقوق المودة في الإخلال بالزيارة وترك المعونة وما يشاكل ذلك »[1] وليس ذلك بحاصل مع آدم عليه السلام، لذلك حفظ له موسى –عليه السلام– مقامه منه، ويتضح نجاح تداولية هذا الاختيار للوم دون العتاب، من خلال تضمن اللوم للحفاظ على أصل الصلة، فأنت تعاتب من أساء فصرمها، وتلوم من أساء وأبقى عليها، يقول العسكري: « ولا يكون العتاب إلا ممن له موات يمت بها»[2].

وهذا يعبر عن انتقاء النبي صلى الله عليه وسلم الدقيق، وفيه تداولية محققة بمقتضى التعبير عن السلوك اللائق بموسى عليه في حق آدم. فيعبر النبي صلى الله عليه وسلم بـــ(شيئ) فهي ليست قضية أو إشكالا، بل لم ترق إلى شيئ من ذلك، ولاتعدو كونها (شيئ)، ففيه إبلاغ لرؤية آدم لما يسأل عنه موسى على أنه غير ذي شأن، ومن شأن المحاجج أن يهون ما يحتج به محاججه، فكانت الصياغة معبرة عن ذلك بنجاح، وتخلص حجة آدم إلى منتهاها بإسناد خلق ذلك الشيئ إلى صاحب الإرادة المطلقة والذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، إنه (الله) سبحانه وتعالى، فأنت يا موسى تسأل عما لا إرادة لي فيه، وذلك من قبيل تذكير موسى، لا من قبيل إعلامه بما يجهل، وإن يكن ذلك واردا فقد سبق تذكيره بأنه الأولى باللوم لأنه المصطفى لاتصاله المباشر بالله عن طريق تكليمه في الأمر، وهنا يصوغ النبي نهاية للموقف بـــ(حج) ولم يقل (غلب) أو (أفحم) لأن في مقام الخطاب طلبا للحجة، وفيه رسالة تعليمية رائعة يريد لها رسول الله أن تقع في الأفهام وأن تستقر في الأفئدة، ولعل هذا أن يكون هدفا رئيسا للحديث كلية، وإن تكن ثمة أهداف ثانوية في تضاعيفه، كنحو:

---

[1] م.ن. ص44.
[2] م.ن ص44.

1- مشروعية الحوار البناء الباحث في أمور العقيدة بدليل جريانه بين الأنبياء.

2- الإشارة إلى الناجح منه، وهو المحتكم إلى الحجة.

3- الأدب في محاورة المحاجج ومراعاة مقامه.

4- تذكير الإنسان بأصل خلقه ونعم الله عليه.

5- سوق المتلقي إلى القناعة بالأمر من خلال اقتناع الأنبياء به.

6- الدعوة إلى الإيمان بأعمال الفكر والاستنباط.

فما الذي يحصل عليه المتلقي بعد الاستنباط، إنه: (لا سبيل إلى مغالبة إرادة الله).

وبعد، فإن الكثير من المبادئ التي تؤمن بها التداولية الحديثة يتخذ له موقعا في أحاديث هذه الأربعين الشحامية، في أحاديثه صلى الله عليه وسلم قاطبة.

خامسا : التبيينات في الأربعين شحامية :

تتضمن التبيينات معنى عرض المفاهيم، وشرح المواضيع، وبسط التعاريف. وتكشف أيضا عن علاقة المتكلم بموضوع ما، من نحو: شرح، أثبت، بين، أنكر...

وتحتل التبيينات مكانة كبيرة في الحديث النبوي، نظرا لما تتوفر عليه روح التعليمية من شرح وكشف وتفصيل يوصل إلى الاقتناع ومنه إلى التأثر ومنه إلى العمل.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾[1] ويكثر حضورها في ما له صلة بالأحكام ومعرفتها من إباحة وحظر وكراهة ...

الحديث السابع والثلاثون:

فعن أبي سعيد الخذري (ض) أن أعرابيا قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « **يا رسول الله، إني في غائط مضبة، وإنه عامة طعام أهلي؟ فلم يجبه صلى الله عليه وسلم، فجعلنا نقول: عاوده، فلم يجبه، ثم عاوده الثالثة فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله لعن أو غضب على قوم من بني إسرائيل، فمسخوا دواب يدبون في الأرض، ولست آكلها، ولا أنهى عنها** »[2].

---

(1) سورة إبراهيم /4.
(2) أربعون حديثا، ص134.

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــال
المضارعة	06	نقول، يجبه (مرتان)، يدبون، آكلها، أنهى
الماضية	06	جعلنا، أجابه، قال، لعن، غضب، مسخوا
الأمرية	02	عاوده (مرتان)،

يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن ما سئل عنه ليس ذا حكم ثابت، موضوع إلى قريب منه، ليلقي به إلى السائل فور سؤاله، وإنما في الأمر اجتهاد شخصي، واحتكام إلى ما لا إلزام للأمة فيه، لذلك أعطى للاجتهاد حقه من التروي وعدم الاندفاع، فآثر أن يرسل ذلك إلى متلقيه بالامتناع عن الإجابة مرتين، ثم يستأنف إجابته بتمهيد لمزيد بيان مسوغات حكمه، ويأتي التمهيد مؤكدا بـــ(إن) لتتصدر جملة خبرية طلبية، لأن ذلك ثابت، والانطلاق من المتفق عليه موطئ للسوق إلى الحكم، إذ هو من قبيل الاستدراج إليه، ولم يأت الخبر ابتدائيا لعدم خلو ذهن المتلقي منه، كذا لم يكن إنكاريا لعدم دفع المتلقي له. إنما كان طلبا لإزالة تردد محتمل فقط، حاصل لديه، فاستهل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من باب الانطلاق من الأسهل المعروف، إيصالا له إلى الحكم بممارسة استنباطية رائعة، بقول د/يوسف القرضاوي: « والمهم ألا يبدأ المعلم تلاميذه بدقائق العلم وعويص مسائله، فيغرقهم في بحر عميق لا يستطيعون النجاة منه، بل يبدأهم بالأسهل و الأيسر لأن الشيئ إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط » [1] ، ولكن ما يستنبط الأعرابي؟ أن لا حكم في القرآن على ما سأل، ولا مدعاة لأن يكون فيه حديث يشكل نصا قطعي

[1] الرسول والعلم، ص134. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (62/3)

الدلالة على الحكم، والقرآن والسنة ملزمان، فما بقي في الأمر؟ إنه سلوك شخصي يستحب الاقتداء به فيه، يبرره النبي صلى الله عليه وسلم برؤية شخصية محمدية لا نبوية كل ذلك كي يدعو الأعرابي إلى الاجتهاد الذي يؤدي به إلى اتخاذ موقع له في المسألة، فرسالة الحديث أن لستم واقفين في القرآن والسنة على جميع ما عنه تسألون، إذ في الأمر فسحة للنظر والاجتهاد، وتلك رحمة لا يقدرها إلا العارفون ، يقول الدكتور أحمد محمد العليمي: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربيا وهاديا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به سواء في ذلك القرآن المنزل أو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم»[1].

وليوفر النبي صلى الله عليه وسلم لتبيينه كل أدواته اللغوية يختار كلمة (قوم) المتبوع بـــ(من) التبعيضية دافعا لتعميم الحكم على بني إسرائيل، إذ لوكان الأمر كذلك للزم حظر أكل الضباب مطلقا، ولكن المسألة مسألة التحوط، والأخذ بالأحوط من قواعد أصول الفقه. والإباحة المطلقة مظنة لأن يقع المرء في المحضور، ومسألة ظاهرها الإباحة المفضية إلى الوقوع في المحضور تعالج عن علماء الأصول في باب (سد الذرائع)[2].

ثم إنه قد ترك الكثير من الأحكام بالنظر إلى الاحتكام فيه إلى الجبلة والفطرة ولذلك قال ابن قتيبة بعد اشتغاله بهذا الحديث: « ومن المحرم شيء لم ينزل بتحريمه تنزيل ولا سنة، وكل الناس فيه إلى فطرهم، وما جبلوا عليه كلحم الإنسان ولحم القرد ولحوم الحيات والأبارص والعظاء والفأر وأشباه ذلك »[3] .

---

[1] طرائق النبي في تعليم أصحابه، ص60.
[2] للشوكاني، إرشاد الفحول، ص410.
[3] تأويل مختلف الحديث، ص247.

ويأتي النفي بأداتين مختلفتين (لست) و(لا)، فجعل ما يكون للمستقبل منها[1] خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو ليس يأكل الضباب بدافع شخصي مزاجي، و(لا) ينهى عنها الآن لعدم وجود الحكم، وتوقعا لإمكان مجيئه فيما بعد، وذلك من أدق ما يمكن أن يبين به، فرسول الله يبين موقفه من المسألة بأدوات لغوية دقيقة جدا ويعلم ما له وما عليه فيها بصورة مضبوطة وجلية.

2. تحليل الأحاديث وفق تقسيم سورل:

إني رأيت أن تقسيم سورل ذو طبيعة إجرائية أكثر من تقسيم أستاذه أوستين، وذلك لنجاته من التداخل الذي انتبه إليه أوستين نفسه، فجعله لا يرضى عن تقسيمه فاعتبره مبدئيا، ولرصد سورل لمجموعة الشروط التي تعمل بعطف بعضها على بعض على إنجاح القضية، ومن ثم فإني سأعمد إلى تحليل حديث واحد ضمن كل صنف، وسأصطفي من الأحاديث الشحامية ما صح منها فقط، دفعا لتقويل النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، وإفساحا للمجال الأرحب للتعرض لكل عناصر التقسيم السورلي:

أولا : التقريريات في الأربعين الشحامية :

الحديث الثامن: عن المغيرة بن الأخنس قال:« **دخلنا على المغيرة بن شعبة وعنده سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: فدخل علقمة بن قيس، فنال من علي، فقال سعيد بن زيد: ألا أراني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينال منهم وأنت ساكت؟ وإني لعشر المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سمعته يقول: أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة، وعثمان بن عفان في الجنة، وعلي بن أبي طالب في الجنة، والزبير بن العوام**

---

[1] انظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص124.

في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وعبد الرحمان بن عوف في الجنة، وطلحة بن عبيد الله في الجنة، وذكر التاسع آخر، قال: قلنا من هو، سعيد بن زيد؟ قال: فسكت، قال: فأرسل دموعه رضي الله عنهم أجمعين؟ »[1]

زمن الفعل	عــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	02	ينال، يقول
الماضية	15	دخل (مرتان)، قال (6 مرات)، نال، آراني، سمعته، ذكر، سكت، أرسل، رضي
الأمرية	00	//

وتقريريات الحديث:

- دخلنا على المغيرة بن شعبة.
- وعنده سعيد بن زيد...
- قال
- فدخل علقمة بن قيس
- ينال من علي
- أنت ساكت
- إني لعشر المؤمنين مع رسول الله.
- سمعته يقول.
- أبو بكر في الجنة.
- عمر في الجنة.

(1) أربعون حديثا، ص43. والحديث صحيح، أخرجه الطبراني (9489-الأوسط).

- عثمان في الجنة.
- علي في الجنة.
- الزبير في الجنة.
- سعد في الجنة.
- عبد الرحمان في الجنة.
- طلحة في الجنة.
- ذكر التاسع.
- سكت.
- أرسل دموعه.

تعرضنا إلى أن من شروط التقريريات أن يستحضر المتكلم الشواهد المبرهنة على صدق ما يقرره، فالمغيرة بن الأخنس يقرر بدءا أنه (دخل)، وأسنده لجماعة المتكلمين (دخلنا)، وليس يهم ذكر من دخل معه، لوجود الشهود في مجلس المغيرة بن شعبة ومنهم سعيد بن زيد (ض) ثم يقرر سعيد بن زيد (وهو ابن عم عمر بن الخطاب) كان عنده، ثم دخل علقمة الذي ذكر عليا بما لا يرضي، لأنه كان من أتباع معاوية، وهنا يتدخل سعيد محتجا، وترتيب الأفعال التقريرية لا يخلو من تقنية تداولية، فذكر الدخول ثم وجود سعيد ثم نيل علقمة بعد دخوله، ينبئ عن حيادية الراوي إذ لو قال: دخلنا على المغيرة ثم دخل علقمة فنال من علي وسعيد عنده لأفاد ذلك رسالة غير الأولى، وهي عدم توقير علقمة لسعيد، إذ قد آذى عليا دون اعتبار لوجود سعيد، وأعتقد أن هذا ما لم يرده الراوي بالنظر إلى ترتيب أفعاله.

- دخلنا + عنده سعيد + دخل علقمة + نال من علي ⇐ الحياد في التقرير.
- دخلنا + دخل علقمة + نال من علي + وعنده سعيد ⇐ الإغراء بعلقمة.

أقول هذا، وإن كان غرض المغيرة بن الأخنس تشريف سعيد، إلا أنه لا يلزم منه الإزراء بعلقمة، وإغراء المغيرة بن شعبة به، وتشريف سعيد يوقف عليه من تقريره (عنده سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) فلماذا ذكر الجد وأبو الجد؟ هل ليخبر بما هو واقع في العلم؟ فالمجلس مجلس صحابة، وهؤلاء أعرف بأنساب بعضهم لبعض، إذن لعله ليجمع الشواهد على صدق معرفته بسعيد، فهو يذكر نسبه جيدا، وهذا ما يشترطه سورل كي يكون التقرير تقريرا، ويذكر أجداده تذكيرا بصلته الدموية بعمر بن الخطاب بن نفيل، وعليه، فالتقرير تقرير ناجح، وتزداد حيادية الراوي جلاء بتقريره (نال من علي)، فهو لم يغير النيل بـــ(ذكر) لأن الذكر عام في حسن الكلام وقبيحه، أما النيل فتحديد لطبيعة الذكر وهو من باب الأمانة في النقل، ولكن (من علي) ومن علي فقط، فقد اقتصرعلى ذكر الاسم دون مصاحبة صيغة تكريمية، ويأتي تقرير سعيد عن حال ابن شعبة (أنت ساكت) بجملة اسمية دالة على ثبات الأمر، وأمارة حاله أمام العيان دليل ذلك، ويعاجل سعيد المغيرة قبل الإجابة: (إني لعشر المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويكون هذا الخبر مؤكدا بـــ(إن) واللام، ذاهبا بالخبر إلى أعلى مستويات التأكيد، أي الإنكاري، دفعا لأعلى درجة من التكذيب، و(إن) واللام من مؤشرات صدقه، زيادة على سابقته في الإسلام.

وتتوالى تقريرات النبي صلى الله عليه وسلم: « أبو بكر في الجنة » واعطف عليه البقية، والجمل اسمية لثبات ما تدل عليه، وهي أخبار ابتدائية لخلو أذهان الصحابة من الأمر، إذ هو غيبي لا سبيل إلى معرفته إلا بإعلام النبي، والصحابة في غير حاجة إلى مؤكدات، طالما أن في جميع سيرته ما يقضي بصدقه صلى الله عليه وسلم، (وهو في الجنة) لا (سيدخل الجنة) دليل على ثبات ذلك قطعا، ويكرر النبي مع كل اسم (في الجنة) ليثبت لكل واحد منهم

مثل ما للآخر، وكل ذلك دال على براعة النبي صلى الله عليه وسلم في تشكيل خطابه وفقا لمقام صحابته، وتأتي تقريراته ثابتة دفعا لما ينالهم من انتقاص الشأن، وهو ما حدث فعلا في المجلس، ورسالة الحديث توقير الصحابة الكرام، ويأتي تقرير الراوي بأن سعيدا (سكت) عند العاشر ثم (أرسل دموعه) ورسالته تنزيه النفس عن العجب والرياء، وهنا يبرهن الشحامي أنه انتقى أحاديثه لغرض تداولي نفعي تربوي هادف أشرت إليه في المدخل.

ومما فيه تقرير في هذه الأحاديث **التاسع عشر** منها :

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« في الإنسان ثلاث وستون مفصلا، على كل مفصل منها صدقة، قيل : يا رسول الله ، ومن يستطيع ذلك؟ قال : أليس ينحي أحدكم الأذى عن الطريق، ويبزق في المسجد ويدفنها، فإن لم يفعل، فركعتي الضحى تجزيه ».[1]

زمن الفعل	عدده	الأفعال
المضارعة	06	يستطيع، ينحي ، يبزق ، يدفنها ، يفعل ، تجزيه
الماضية	02	قيل ، قال
الأمرية	/	//

وأفعال الحديث (قيل، يستطيع، قال، ينحي، يبزق، يدفنها، يفعل، تجزيه).

وكلها مضارعة، ماعدا فعلي المحاورة (قيل قال) فماضيان، وهي مضارعة لتحقيق مصلحة، وهي الالتزام في مستقبل الأيام بما ورد في الحديث من سلوكات حميدة، فمن مصلحة الداعية أن ينتبه أتباعه إلى كل ما فيه خير لهم، والسعي إليه بكل ما يقدرون عليه، لذلك قرر في مستهله أن في الإنسان عددا كبيرا من المفاصل التي رزقه الله إياها، ليعمل بها على كسب الأجر، وهذا

---

(1) اربعون حديثا ص 82.

تقرير من النبي صلى الله عليه وسلم، على أن الله ما دعا عبده للعبادة، إلا وقد هيأ له القدرة عليها، كما قرر أن الله يهب على كل حركة من الإنسان، يرجو بها وجهه أجرا، مهما تكن ضآلة هذه الحركة، كتنحية الأذى من الطريق، وهو غير مكلف، وكدفن البزاق في تراب المسجد من مساجد ذلك الزمان، وكتأدية ركعتين ليس فيهما عناء، وفي سؤال النبي صلى الله عليه وسلم « أليس ينحي ...؟ » تقديم لشاهد ودليل على صدق ما يقرره، وهو واقع الحال، وهذا ما يتحدث عنه سورل في شروطه، أي أن من شرط المحتوى القضوي في التقريريات، إتيان المتكلم فيها بما يصدقه.

ويقرر النبي في **الحديث الثاني والثلاثين** مايلي :

عن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تميلها الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا. ومثل المنافق كمثل الأرزة المجذوبة على الأرض، حتى يكون انجعافها مرة ».**[1]

زمن الفعل	عـــدده	الأفعــــــــــال
المضارعة	01	تميلها، يكون
الماضية	00	//
الأمرية	00	//

ويحضر فيه هذان الفعلان : (تميلها، يكون).

ويقرر النبي أن :

- المؤمن يشبه الخامة من الزرع في الليونة.
- تميل بها الريح جانبا فجانب لليونتها.

---

(1) اربعون حديثا، ص 122 .

- المنافق يشبه الأرزة في التصلب.

- تحصدها الريح مرة واحدة لتصلبها.

ففي الأول، يقرر النبي أن المؤمن الحق لين، طيع، غير متزمت، ولا متعصب، وليزيد النبي تشبيهه هذا وضوحا، استعماله أدوات غير كلامية كالإشارة بـ (هكذا) و (هكذا). وليس يخفى ما في ذلك من استزادة لضمانات بلوغ الرسالة، وللتواصل غير الكلامي اهتمام بالغ في مباحث النظريات التبليغية اللسانية.

وأما توفير شاهد الصدق في التقرير الذي يشترطه سورل، فالرسول الكريم أقام لتوفيره هذا التمثيل الدقيق، وهو تمثيل مجسد، حسي، ومن واقع البيئة، تعضده ما قضت به سنن الطبيعة، وإبصار حال المؤمن الحق في سلوكاته اللينة، والمنافق الذي لا يلبث حتى يقضي عليه نفاقه.

ثانيا: الوعديات في الأربعين الشحامية :

من الوعديات، الحديث الأول :

فعن أبي بكر الصديق (ض)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **« من اغتسل يوم الجمعة، غسلت ذنوبه وخطاياه، فإذا راح كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة، فإذا قضيت الصلاة أجيز بعمل مائتي سنة »**.[1]

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــال
المضارعة	00	//
الماضية	06	اغتسل ، غسلت ، راح ، كتب ، قضيت ، أجيز
الأمرية	00	//

أفعال الحديث (اغتسل، غسلت، راح، كتب، قضيت، أجيز).

جميع أفعال الحديث ماضية، والماضي دال على ثبات الحدث، فكأن ما يعد به، عز وجل، مما جاء في الحديث، ثابت، أي أن المغتسل قد لقي ثوابه وانقضى الأمر، لا سيلقاه، وهو محمول على ما قيل من قبل المفسرين في قوله تعالى :﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم** ﴾[2]. فالهداية ثبتت في علم الله القديم لمن سيعتصم، وفي ذلك تصوير لتعجيل الله للثواب، وهذا من عظيم منه وكرمه على عباده.

وأما جمل الحديث فشرطية كلها :

1/ من اغتسل يوم الجمعة، غسلت ذنوبه وخطاياه.

2/ فإذا راح، كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة.

3/ فإذا قضيت الصلاة، أجيز بعمل مائتي سنة.

---

(1) اربعون حديثا ، ص 23 .

(2) آل عمران آية 101 .

وعددها ثلاث، وفي ذلك حضور تداولي من خلال الانسجام مع الواقع، أي بحسب أداء صلاة الجمعة، استعدادا، رواحا فقضاء، وفي أسلوب الشرط ربط للعمل بجوابه، وهو فعل إخباري عن مجازاة الله تعالى عن كل عمل، مما فيه إغراء بالعبادات والإقبال عليها، وكل جمل الشرط مقرونة بجمل أجوبتها، دون فاصل، كنحو الجمل الاعتراضية، تعجيلا للثواب وذلك منسجم مع هدف الحديث الساعي إلى الترغيب في أداء صلاة الجمعة .

ومن الوعديات، الحديث الثاني عشر:

عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« مالكم لا تتكلمون؟ من قال سبحان الله وبحمده، كتب الله له عشر حسنات، ومن قالها عشرا، كتب الله له مائة حسنة، ومن قالها مائة مرة، كتب الله له مائة حسنة، ومن زاد، زاده الله، ومن استغفر، غفر الله له، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في حكمه، ومن اتهم بريئا، صيره الله إلى طينة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال، ومن انتفى من ولده يفضحه به في الدنيا، فضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة ».**[8]

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	03	تتكلمون، يأتي، يفضحه
الماضية	16	كتب، قالها، كتب، قالها، كتب، زاد، زاده، استغفر، غفر ،حالت، ضاد، اتهم، صيره، قال، انتفى، فضحه،
الأمرية	00	//

(٨) أربعون حديثا ص ٦٨.

أفعال هذا الحديث (تتكلمون، قال ، كتب ، قالها، كتب، قالها، كتب، قالها، زاد، زاده، استغفر،غفر، حالت، ضاد، اتهم، صير، انتفى، يفضحه، فضحه).

جل أفعال الحديث ماضية، وتلك سمة غالبة على وعديات هذه الأربعين، وفي أسلوب الحديث عموما، وذلك حملا على تأكيد حصول ما يوعد به المرء، أو على الدعاء له، أو عليه، وجل جمله من قبيل الشرط، أتبع فيه كل شرط بجوابه، من خير أو شر، وفي ذلك تعبير عن الحضور الدائم للرقيب، عز وجل، على أعمال الناس، صالحها وطالحها.

ومستهل الحديث جملة استفهام غرضه التعجب، وهدف النبي صلى الله عليه وسلم الحث على الإقبال على أعمال يسيرة تعد بالكثير من الأجر، وليست هذه الأعمال غير أقوال فقط، مع ملاحظة ازدواجية توظيف الكلام في الخير والشر، فمن أحسن كلامه فكان تسبيحا، حمدا واستغفارا، فهو موعود بالشفاعة، ومن قبحه فكان اتهاما وقذفا، فهو موعود بالفضيحة والعار وذلك من أبلغ طرائق التنبيه إلى محاسن اللسان ومساوئه.

ومن وعديات الشحامي الحديث الثالث عشر:

فعن عبد الله بن عباس، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فقال رسول الله :« **هل على صاحبكم دين؟ قال قلنا: نعم. قال : فقال علي بن أبي طالب : إلي دينه يا رسول الله، هو بريء منه. قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه. قال : فقال : فك الله رهانك يا علي، كما فككت رهان أخيك. فقال رجل وأصحابه: يا رسول الله، ألعلي خاصة؟ قال : بل للمسلمين عامة** »[1].

---

(1) أربعون حديثا، ص 67.

زمن الفعل	عــــدده	الأفعـــــــــال
المضارعة	00	//
الماضية	11	قال (07 مرات)، نزل، صلى، فك، فككت
الأمرية	00	//

أفعال الحديث (قال، قلنا، نزل، صلى، فك، فككت).

للماضي حضوره المكثف، ومبرر ذلك الطابع القصصي للحديث، وفي بعض أفكاره غرض الدعاء.

وأما الجمل فمتنوعة انسجاما مع حركية المقام الحواري، ومستهله استفهام (هل على صاحبكم دين؟) وهو حقيقي، وفيه تنبيه للمسلمين إلى وجوب أداء دين الميت، تبرئة لذمته أمام ربه، من ماله أو بالتطوع عنه، وفي ذلك مظهر من مظاهر التضامن التي تستهدفها هذه الأربعون حديثا من جملة ما تستهدف، وثمة جملة النداء (يا رسول الله) والاستفهام الحقيقي (ألعلي خاصة؟) أي أن ما وعدت به عليا بدعائك له ليس يتحقق إلا معه؟ وفي سؤالهم هذا إعلان عن الرغبة في فعل الخيرات، ويستهل النبي إجابته بحرف الإضراب (بل) توسعة على المسلمين لباب الخير والأجر.

والحديث الثلاثون:

عن جرير بن عبد الله قال: « **كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم راءون ربكم عزوجل كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع**

الشمس، وقبل غروبها فافعلوا، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » [1].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعــــــــــــال
المضارعة	03	ترون، تضامون، تغلبوا
الماضية	05	كنا، نظر، قال، استطعتم، تلا
الأمرية	01	افعلوا

ووعديات الحديث:

- إنكم راعون ربكم.
- لاتضامون في رؤيته.

يعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالرؤية السعيدة كما يعبر علماء العقيدة، أي رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، ويصدر وعده بـــ(إن) التوكيدية مراعاة لما يسميه سورل (درجة الشدة في المحتوى القضوي) فما توعدون به واقع لا محالة، وتداوليته في بعث سرور كبير في أفئدة أصحابه، ويزيد في درجة الشدة الوعدية استثمار القيمة التعبيرية التي في صيغة اسم الفاعل (راعون) الذي لا يتقيد بزمن، فالرؤية غير مؤقتة، إن الكوفيين يسمون (فاعل) الفعل الدائم.

ومن شروط الوعد أن يكون إنجازه مستقبلا عند سورل، وذلك حاصل يوم القيامة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناظرة * إلى ربها ناظرة** ﴾[2] واليوم المقصود هو يوم القيامة اتفاقا.

وأما الوعد (لا تضامون في رؤيته)، أي لا تشكون، وفيه وعد بأمر آخر، وهو رفع الريبة في تحقيق الوعد، وأما شرط القدرة على التنفيذ، فذلك يتبع

---

[1] أربعون حديثا، ص117. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (360/4-362-365)، والبخاري (554)، ومسلم (633).

[2] القيامة، الآية 23/22.

معتقد الإنسان، فإقراره بقدرة الله على كل شيء يكفيه، وكذا إيمانه بوساطة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول د/يوسف القرضاوي: « والموقف السليم الذي يفرضه منطق الإيمان، ولا يرفضه منطق العقل: أن نقول في كل ما أثبته الدين من الغيبيات: آمنا وصدقنا » [1].

ويحقق الحديث بذلك تداولية ناجحة بالنظر إلى ذلك كله، ويندرج ضمن ترغيب المؤمنين في الازدياد من العمل لأجل بلوغ هذه النعمة، عنيت رؤية الله تعالى.

ثالثا : الأمريات في الأربعين الشحامية :

مما رأيت إدراجه في الأمريات :

الحديث الثاني :

عن عمر بن الخطاب (ض) قال :« **سمعت رسول الله (ص) يقول :« الإيمان بالنية واللسان والهجرة بالنفس والمال ».**

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	00	//
الماضية	00	//
الأمرية	00	//

ليس في الحديث أفعال، وغياب الفعل غياب صيغة لا غياب دلالة ، لأن النظر في مقصد الحديث، يكشف عن وجود فعل الطلب أي (آمنوا ناوين الإيمان وانطقوا بإيمانكم وهاجروا بأنفسكم وأموالكم) ،والتداولية تهتم كثيرا بالمقصد في المقام الأول، كما أن من الصيغ التي يتحقق بها أسلوب الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر، وان اشترط نحو العربية أن يكون هذا المصدر منصوبا على

---

[1] معالم وضوابط، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص176.

أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله المحذوف، كنحو قوله تعالى: ﴿ **وبالوالدين إحسانا** ﴾ أي أحسنوا إحسانا .

ومن ثم، فالحديث يتوفر على متتاليين تتدرجان ضمن الأمريات :

- الإيمان بالنية واللسان .
- والهجرة بالنفس والمال.

ولكن اختيار المصدر وترك فعل الأمر له مبرر تداولي، وذلك بالنظر إلى سياق الحديث، وهو سياق تعريف ببعض من قواعد هذا الدين (الإيمان والهجرة)،

و مقام التعريف يليق فيه التعبير باسم المعرف به، وكأن التقدير : الإيمان : ما وقر في القلب، وعبر عنه في اللسان، و الهجرة : ما كانت بالنفس والمال، وإن كان المقصد رأسا، هو الأمر بالشيء بعد إيضاح ماهيته، وتعريف المسلم بالعبادة، وإيقافه على ماهيتها، أدعى لأن يجعله يقبل عليها، إذا أمر بها بعد ذلك، وهنا المصلحة التي يريدها الحديث .

وأما الجمل، فثنتان اسميتان دالتان على الثبات، وذلك لهدفه المتمثل في الصياغة الثابتة لماهية الشيء التي لا ينسخها تقلب الزمان ، فالزمان هنا لا موقع له بالنظر إلى السياق والمقصد.

وفي الحديث تقديم للإيمان على الهجرة، ولهذا الترتيب هدفه، فليست تصح هجرة بغير إيمان صحيح . والإسلام يصبو إلى أن يقرن كل عمل من أعمال المسلم بنية.

والحديث التاسع والعشرون:

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الأنصار، فسمعته يقول: « **اللهم صل عليه، واغفر له، وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم مثواه ومنقلبه، واغسله بماء وثلج وبرد**

ونقه من ذنوبه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله وقه عذاب القبر»[1].

زمن الفعل	**عــدده**	**الأفعـــــــــال**
المضارعة	01	ينقى
الماضية	00	//
الأمرية	10	صل، اغفر، ارحم، عاف، اعف، أكرم، اغسله، نقه، أبدله، قه

وأمريات الحديث:

- صل عليه
- اغفر له
- ارحمه
- عافه
- اعف عنه
- أكرم مثواه
- اغسله
- نقه
- أبدله

وغرضها هنا الدعاء طبعا، وطلب كل ما هو خير لهذا الرجل، ويستهل المصطفى بالنداء وهذا إنشاء طلبي، وآداة النداء محذوفة، والميم في (اللهم) عوض عنها، واستعمل في طلبه العناية الألوهية لا الربوبية مثلا فقال:«ياالله »

---

[1] أربعون حديثا، ص115. والحديث صحيح، أخرجه الطبراني (108/59/18).

ولم يقل:« يا رب»، لما في الألوهية من معنى استحقاق العبادة دون غيره، ولذلك يقال في الدعاء المأثور على الميت: «كان يشهد أن لا أله إلا الله» فيا الله إن هذا الميت كان يشهد لك بالألوهية، وفيه أيضا تخصيص لله تعالى بهذا الاسم الذي لم يتسم به غيره [1]، ورسالة ذلك أن لادعاء إلا لله وحده، وأما الربوبية فإحالة على التدبير والبلوغ بالشيء إلى كماله، ومنه التربية وليس في ذلك ما يلائم المقام فإن النبي ما طلب نماء لشيء، أو استزادة من خير دنيوي للرجل، والرجل كان يشهد بصلته بك، لا بغيرك، فخصك بالعبادة، فخصه بالصلة، فصل عليه، والصلاة من الصلة، فاستهل بها النبي طلبياته الدعائية، وفي ترتيبها ملمح تداولي رائع، لا يعبر عن الإبلاغ للمعاني فحسب، وإلا اقتضى الأمر سردها على غير ما ترتيب ، ولكنه يعبر عن الأداء، والأداء إيصال للشيء على النحو الذي يجب أن يكون عليه في صورته المثلى، لا على نية إخراجه فقط،[2] ثم يأتي طلب الرحمة، والرحيم الذي خص أهل وده بإتمام النعمة في جميع أمورهم، فهو يطلب من الله بعد أن يصله أن يغفر له، ويتم النعمة بالرحمة، ثم يطلب العافية، وأصل العافية الترك، أي اترك ما قد أحصيته عليه من معاص، ومنه: (اعفوا اللحى) أي اتركوها تطول، وهكذا إلى بقية أمريات الحديث التي رتبت على نحو مطابق لما سيحدث، كما يقرر سورل في شروط نجاح المحتوى القضوي،[3] ورسالة الحديث إعانة الميت بالدعاء.

---

(1) العسكري، الفروق في اللغة، ص180.
(2) م.ن، ص44.
(3) المقاربة التداولية، ص84.

رابعا : الإيقاعيات في الأربعين الشحامية :

تسجل هذه حضورا لافتا في الحديث النبوي عموما، بالنظر إلى ما أوقعته الدعوة المحمدية في واقع حياة العرب، وشرطها مطابقتها للعالم، ووقوعها بنجاح، ولا ريب في نجاح الدعوة المحمدية، بدليل واقع الحال قبل الجاهلية وبعدها.

ومن هذه الإيقاعيات **الحديث الأربعون:**

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **إن لي أسماء. أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده أحد**»[1].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	02	يمحو، يحشر
الماضية	00	//
الأمرية	00	//

وإيقاعيات الحديث:

- أنا الماحي.
- أنا الحاشر.
- أنا العاقب.

يستهل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بتأكيد تعدد أسمائه، ثم يسردها بدءا بأنه محمد، والمحمد الأكثر حمدا لشمائله من المحمود، وهو أحمد، ويوقع محمد

(1) [illegible]، أربعون حديثا، ص139. انظر: نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر ص69. والحديث صحيح، أخرجه أحمد (80/4)، والبخاري (4896/فتح).

وأحمد في العالم تغييرا بإزالة معالم الشرك والكفر، فهو الماحي لذلك، والتعبير باسم الفاعل لعدم تقيد ذلك بزمان، فهو الذي محا، وسيظل ماحيا، إلى ما شاء الله من الزمان، وشرطه، كما يقرر سورل، أن يؤدى الفعل بنجاح، ولا شك في ذلك مع رسول الله، فما مات إلا وقد ترك الشيطان يائسا من أن يعبد في الأرض، كما جاء في خطبة الوداع، ومع العاقب الذي هو من العقب الذي هو آخر الشيء، وقد نجح في ذلك، وواقع الحال يصدقه، فالحديث ناجح تداوليا إلى حد بعيد، وأما الحاشر فالمحتكم إليه فيه العقيدة.

خامسا : البوحيات في الأربعين الشحامية :

لم يفرق سورل بين أن تعبر البوحيات عن حالات نفسية للمتكلم رأسا، أو لغيره، وأغتنم ذلك للحديث عن حديث يعبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسية غيره، والمهم أن لا شرط قضوي للبوحيات لارتباطها بنفس المتكلم. واتجاه المطابقة الفراغ، لعدم الصلة بين القول فيه والعالم، وإنما بينه وبين النفس.

ومن بوحيات هذه الأربعين، الحادي عشر منها :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) قال : « **إن الله سبحانه وتعالى يباهي عشية عرفة بأهل عرفة ، يقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا**»

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	02	يباهي، يقول
الماضية	00	//
الأمرية	01	انظروا

في هذا الحديث حضور لأدوات إبلاغية تكفل بلوغ الرسالة على نحو ناجح، براغماتي، أي أنه مشكل تشكيلا يحقق في متلقيه عنصري الإقناع والتأثير.

وأفعاله هي (يباهي، يقول، انظروا) وقد صرفت كلها إلى المستقبل، للتعبير عن أن مباهاة الله ملائكته بأهل عرفة دائمة، مستمر، ومتجددة، وهي مباهاة تحدث عند كل وقفة، ليغري المؤمنين بالاهتمام بهذه الشعيرة المقدسة ، وهذا من باب النفاذ إلى القلوب والأفئدة، لجعلها تهوي إلى الحج ومناسكه، والاهتمام أكثر بهذه الوقفة، والحج عرفة، هذا عن التأثير.

ولنا أن نلاحظ مع ذلك هذا التكرار لكلمة (عرفة) وكأنه من باب الإغراء بها ، إذ لم يقل:« يباهي ملائكته عشية عرفة بأهلها » ، وهو أوجز، ولكن في التكرار وظيفة نفعية ، وفي اختيار الفعل " يباهي " إشارة إلى توازن ممتاز في بنية الحديث ،فهو من المباهاة، والبهي من الأمور جميلها و حسنها ،إذ لا يباهى إلا بالجميل ، فأهل عرفة على قدر عظيم من الجمال، أثناء وقوفهم، عند الله تعالى، رغم كونهم شعثا غبرا، وهذا تشجيع للنفوس على مقاومة مشاق الرحلة إلى بيت الله الحرام .

ثم هو عز وجل يباهي ملائكته، لا غيرهم، والملائكة ما كانوا إلا للعبادة فحسب، ورغم ذلك فالله لا يباهي بهم الحجيج، و إنما يباهيهم هم بالحجيج، وفي ذلك إحلال لهم منزلة رفيعة.

وفي الفعل (انظروا) الموجه إلى الملائكة، إقامة للدليل الحسي على أنه ما دعاهم للسجود لآدم عبثا، لأن في بنيه من قد ابتلاهم بمشاق كبيرة، تجشموها للحج، لكنهم اصطبروا عليها، إجابة لداعي الطاعة والتقوى الخالصة لوجهه الكريم.

أما الإقناع، فمصلحة أخرى يستهدف الحديث تحقيقها، وقد وظف لها الاستفتاح بالأداة (إن) المؤكدة، لتطمئن القلوب إلى أنها مباهاة ثابتة، لا ريب فيها، مع كل وقفة، والأداة (إن)، تحقق في مفاهيم التداولية، ما يسميه سورل، ضمن شروطه المحققة للقوة الكامنة في المحتوى القضوي المتضمن في القول، درجة الشدة للغرض المتضمن في القول، بمعنى :

1- الله يباهي ملائكته. درجة الشدة للغرض منعدمة.

2- إن الله يباهي ملائكته. درجة الشدة عالية بـــ (إن).

فالقضية (2)، أدعى لأن تؤثر وتقنع من القضية (1)، والمقام في الحديث مقام إقناع للمؤمنين بأن ما يلقونه من أهوال السفر، وخاصة مظاهره القبيحة، ليست في حقيقتها عند الله إلا جمالا خالصا يباهي الله به ملائكته.

والحديث الثالث والعشرون:

عن عبد الله بن مسعود (ض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **« إن الله عزوجل جعل حسنة ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلا الصوم فالصوم لي، وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم القيامة، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »**[1].

زمن الفعل	عـــدده	الأفعـــــــــــال
المضارعة	01	أجزي
الماضية	01	جعل
الأمرية	00	//

وبوحيات الحديث:

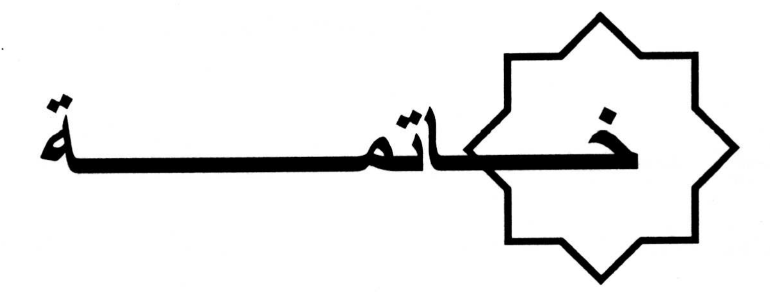
- فرحة عند إفطاره.
- فرحة يوم القيامة.

يصرح الصائم عن وضع نفسي معين عند إفطاره، وهو الفرح، وشرطه كما احترز سورل أن يسبق بما يحمل عليه، أي على الفرح، وهو لا شك الخلاص من مكابدة النفس للكف عن شهوتي البطن والفرج، وهي فرحة يحرمها التارك

(1) أربعون حديثا، ص98. وإسناده ضعيف وهو صحيح، أخرجه أحمد (446/1).

للصيام، وهذه هي رسالة الحديث، كما تعظم هذه الفرحة عند لقائه بربه، لأنه يلقاه بعمل صالح وأهلية للجنة.

ويعمل النبي على تحقيق الإطناب من خلال التفصيل بعد الإجمال، ولذلك بلاغته وتداوليته المؤثرة في المتلقي، فيذكر (فرحتان) ثم يذكر الأولى وبعدها الثانية ليكثر من ورود كلمة الفرحة في الحديث، فهي ثلاثة مرات، ورسالته الترغيب في الصيام وجعله فرحا كله، فالإطناب أولى في المقام من الإيجاز أو المساواة، وذلك من أمارات بلاغة البليغ الذي يرعى لكل مقام مقاله، والبلاغة مراعاة المقال لمقتضى الحال.


خاتمة

خـــاتمـــة :

التبليغ: مسألة استفزت بحث الإنسان منذ آماد بعيدة، لشعوره العميق بضرورة الحفاظ علىَ كل ما يكفل له حياة اجتماعية متماسكة، ومنحها من طاقة بحثه على قدر إيمانه بضرورة ذلك البحث فيها، فأعلت حضارات كثيرة – قديما وحديثا– من شأن اللغة، فكان النحو وفقه اللغة واللسانيات، واتخذت اللسانيات من اللغة ميدانا لها، وأرادت له أن يكون مستقلا باهتماماتها، وكان بحث اللساني من اللغة وإلى اللغة، وانتبهت اللسانيات الحديثة إلى أن مبحوثها على قدر غير هين من التعقيد و التشابك ، لأنها انتبهت إلى أن الحياة الاجتماعية وحركية الواقع كامنان داخل اللغة، فبحثت من خلال منهج من مناهجها عن ميكانيزمات تلك العناصر اللغوية ضمن الحياة الاجتماعية، فكانت التداولية .

والتداول لفظ يدل على ما يدل عليه التبادل، الأخذ والرد، الإرسال وكيفياته، الاستقبال وشروطه، والأثر النهائي الذي يصنعه ذلك كله، والأثر قد يعبر عنه بأنه النجاح في الأداء اللغوي، فما الذي توافر في العملية التبليغية الناجحة فنجحت ؟.

أعتقد أن التداولية منهج يسعى للإجابة عن كيفية تحقيق العمل التبليغي لمصلحة، وذلك نجاحه، وهذا يحيل على أن كل بنية لغوية ما نسجت إلا لتحقيق هدف مصلحي ، نفعي براغماتي .

والأربعون حديثا الشحامية اصطفاها جامعها لمصلحة اقتضتها خصوصيات الخطاب الدعوي، منها الترويج لمبادئ الإسلام الأساسية التي تحيط بحياة المسلم وتستوعبها .

ولعل هذا ما جعل أحاديثها تستجيب للقراءة التداولية، ومن ثم كان هذا العمل الذي انتهى إلى هذه النتائج :

1= التداولية اهتمام بنجاح الخطاب اللغوي في الحصول على مراميه وتحقيق مصالحه المخطط لها سلفا لمقتضى من المقتضيات وذلك ضمن سياق الحياة الواقعية بكل مراجعها.

2- التداولية محصلة بنية فكرية فلسفية ترتد إلى البحث اللغوي الإغريقي وما تلاه من جهود سعت إلى صياغة نسق مقولاتي تصنيفي للغة، وهو مبرر تعدد صياغاتها لدى المهتمين بها غربا وعربا.

3- إن الدرس اللغوي، النحوي والبلاغي، العربي الموروث يتوفر على الكثير من الأفكار التداولية من خلال اهتمامه بعناصر العملية التخاطبية كلها وإن بعض الدارسين المحدثين عدوا التداولية – بمقتضى ذلك- صياغة جديدة للبلاغة القديمة.

4- تحضر في الدرس اللغوي الغربي مؤسسات نظرية كثيرة ومشاركات مفهومية غير قليلة عملت ولو بشكل غير هين رصده على بناء الصرح التداولي، أي أعمال بيرس وموريس وفيتينجشتاين وفريج وستانكلار و ... غيرهم من اللسانيين أو فلاسفة اللغة الغربيين.

5- يسجل أوستين ريادة في صنع البعد التطبيقي للطرح التداولي من خلال اكتشافه في خمسينات القرن الماضي لنظرية الأفعال اللغوية التي أزاح بها وهما عالقا باللغة منذ آماد بعيدة مظهره عدم الدقة في تصنيف الجملة في اللغة .

6- يسجل سورل إدراكا أكثر وعيا بوجوب التدقيق في تقسيمات أستاذه أوستين، من خلال صياغته لأسس المتضمنات في القول أو شروط

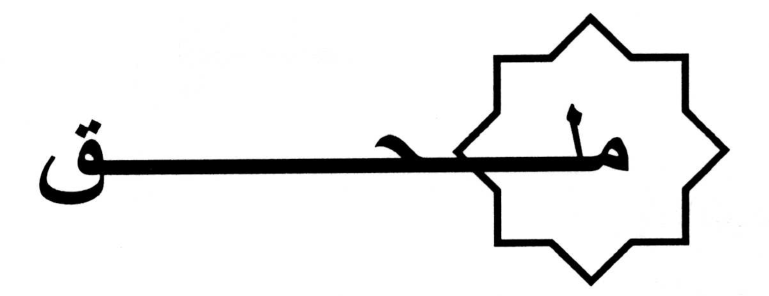
المحتوى القضوي، وهو ما جعله يخرج بتقسيمات أخرى بناء على تلك الصياغة .

7- الأربعون الشحامية نص نسج لرؤية تداولية ومقتضى مصلحي يستهدف تلك الأثر في حياة المسلمين من خلال إشاعة نصوص تمس جوانب حياتهم الدينية جميعا، عقيدة وأحكاما .

8- نصوص الأربعين عامرة بالأدوات الإبلاغية وطرائق تشكيلها المتنوعة بما يستجيب لواقع الحياة وتقلباتها، من مثل:

- الحضور المكثف للفعل بكل أزمنته (الماضي، الحاضر، المستقبل)، انسجاما مع حركية الحياة ذاتها، مع تنوع صيغه (الماضي، الأمر، المضارع) التي ساهمت في إيجاد الروح القصصية الجذابة والمغرية في بعض الأحاديث وفي التعبير عن الغيبيات، وما سيكون في آخر الزمان، وكان الأمر ذا إسهام في نسج مقاصد التشريع وسن الأحكام.
- تنوع جملها بين الإخبار والإنشاء، تبعا لمقتضيات المقامات والسياقات.
- توخي البساطة في اللغة باللفظ المعروف والتعبير المألوف، مما فيه مزيد ضمان لرواج هذه الأربعين في المجتمع الإسلامي.
- تفاوت التراكيب طولا وقصرا، إيجازا وإطنابا ومساواة، وذلك يبرره مقتضيات المقام، وطبيعة المصلحة المخطط لها سلفا، والتي يستهدف الحديث بلوغها.

وليس يقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أنه أفصح العرب.


ملحق

ملحق :

الحديث الأول :

(من اغتسل يوم الجمعة، غسلت ذنوبه وخطاياه، فإذا راح كتب الله له بكل قدم عمل عشرين سنة، فإذا قضيت الصلاة أجيز بعمل مائتي سنة).

* * *

الحديث الثاني :

(الإيمان بالنية واللسان، و الهجرة بالنفس والمال) .

* * *

الحديث الثالث :

(أدخل الله الجنة رجلا كان سمحا بائعا، ومشتريا ، وقاضيا ، ومقتضيا).

* * *

الحديث الرابع :

(إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران :

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

و﴿ قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ .

هن مشفعات، ما بينهن وبين الله حجاب، فقلن : يا رب، تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك ؟ قال الله تعالى : بي حلفت، لا يقرأهن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مأواه على ما كان فيه، وإلا أسكنته حظيرة القدس، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة) .

* * *

الحديث الخامس :

(جاء رجل من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل رسول الله (ص) عن الإسلام ، فقال :
خمس صلوات في يوم وليلة ، قال : هل علي غيرها ؟
قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال رسول الله (ص) وصيام شهر رمضان قال : هل علي غيره ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال : وذكر له رسول الله (ص) الزكاة، قال : هل علي غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال : فأدبر الرجل وقال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه .
قال رسول الله (ص) : أفلح إن صدق) .

* * *

الحديث السادس :

(لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره ، فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه) .

* * *

الحديث السابع :

(إن من السعادة المركب الصالح ، والمسكن الصالح، والزوجة الصالحة. وإن من الشقاء المركب السوء ، والمسكن السوء، والزوجة السوء) .

الحديث الثامن :

(أبو بكر في الجنة ، وعمر بن الخطاب في الجنة ، وعثمان بن عفان في الجنة ، وعلي بن أبي طالب في الجنة، و الزبير بن العوام في الجنة، وسعد ابن أبي وقاص في الجنة، وعبد الرحمان بن عوف في الجنة، وطلحة بن عبيد الله في الجنة، وذكر التاسع آخر فقال : قلنا من هو ؟ قال : فسكت . قال : قلنا من هو ، سعيد بن زيد ؟ قال : فأرسل دموعه رضي الله عنهم أجمعين).

* * *

الحديث التاسع:

(دخلت المسجد فرأيت رسول الله (ص) خارجا من المسجد ، فاتبعته أمشي وراءه ولا يشعر بي ، ثم دخل نخلا فاستقبل القبلة فسجد ، فأطال السجود ، وأنا وراءه حتى ظننت أن الله عزّ وجل توفاه ، فأقبلت أمشي حتى جئته فطأطأت رأسي أنظر إلى وجهه ، فرفع رأسه فقال : مالك يا عبد الرحمان ؟ فقلت : لما أطلت السجود يا رسول الله ، خشيت أن يكون الله عزّ وجل توفا نفسك ، فجئت أنظر . فقال :

إني لما رأيتني دخلت النخل لقيت جبريل عليه السلام فقال : أبشرك أن الله عزّ وجل يقول : من سلم عليك سلمت عليه ، ومن صلى عليك صليت عليه).

* * *

الحديث العاشر :

(في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض و الفردوس أعلى و أوسطها ، فوقها عرش الرّحمن ، ومنها تفجّر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله ، فسألوه جنة الفردوس).

الحديث الحادي عشر :

(إن الله سبحانه وتعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، يقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا) .

* * *

الحديث الثاني عشر :

(مالكم لا تتكلمون ؟ من قال سبحان الله وبحمده كتب الله له بها عشر حسنات ، ومن قالها عشرا كتب الله له بها مائة حسنة ، ومن قالها مائة مرة كتب الله له ألف حسنة، ومن زاد زاده الله ، ومن استغفر غفر الله له ، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضادّ الله في حكمه، ومن اتهم بريئا صيره الله إلى طينة الخبال حتى يأتي بالمخرج ممّا قال ، ومن انتفى من ولده يفضحه في الدنيا ، فضحه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة).

* * *

الحديث الثالث عشر :

(هل على صاحبكم دين ؟ قال قلنا : نعم ، قال : دونكم صاحبكم . قال : فقال علي بن أبي طالب : يا رسول الله ، هو بريء منه ، قال : فنزل رسول الله (ص) قال : فقال : فك الله رهانك يا علي كما فككت رهان أخيك . قال: فقال رجل وأصحابه : يا رسول الله ، ألعلي خاصة ؟ قال : بل للمسلمين عامة).

* * *

الحديث الرابع عشر :

(كنا مع رسول الله (ص) في مسير فقال : استغفروا، فاستغفرنا. فقال : أتموها سبعين مرّة. فقال رسول الله (ص) : ما من عبد ولا أمة يستغفر الله يوم سبعين مرّة، إلا غفر الله له سبع مائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبع مائة ذنب).

الحديث الخامس عشر :

(إنّي كأنّي قد دعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي، وإنهما لن يزالا جميعا حتى يردا الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

* * *

الحديث السادس عشر :

(احتج آدم وموسى، فقال موسى : يا آدم ، أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسكنك الجنّة، أغويت النّاس، وأخرجتهم من الجنّة وفعلت ما فعلت ! قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاه الله بكلامه، تلومني على شيء خلقه الله قبل أن يخلق السّماوات والأرض ! قال : فحج آدم وموسى).

* * *

الحديث السابع عشر :

(إن لكم في كل جمعة حجّة وعمرة، فأمّا الحجّة فالتّهجير إلى الجمعة، وأمّا العمرة فانتظار صلاة العصر بعد الجمعة).

* * *

الحديث الثامن عشر:

(كنت آتي رسول الله (ص) بوضوئه وحاجته فقال : سلني، قلت : مرافقتك في الجنّة ، فقال : أو غير ذلك ؟ قلت : هو ذاك، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود).

* * *

الحديث التاسع عشر :

(في الإنسان ثلاثة مائة وستون مفصلا، على كل مفصل منها صدقة، قيل : يا رسول الله، ومن يستطيع ذلك ، قال : أليس ينحّي أحدكم الأذى عن الطريق ، ويبزق في المسجد ويدفنها ، فإن لم يفعل فإن ركعتي الضّحى تجزيه).

* * *

الحديث العشرون :

(أملى علي المغيرة بن شعبة كتابا : إن رسول الله (ص) كان إذا قضى الصلاة قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ).

* * *

الحديث الواحد و العشرون :

(إني أتخوف على أمتي من بعدي الشرك والشهوة الخفية، فقلت : يا رسول الله ، أو تشرك أمّتك من بعدك ؟ قال : يا شداد، إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا، ولا حجرا، ولا وثنا ، ولكنهم يراءون بأعمالهم .فقلت : يا رسول الله ، وما الشهوة الخفيّة ؟ قال : يصبح أحدهم صائما، فتعرض له شهوة من شهواته ، فيواقع شهواته ويدع صومه).

* * *

الحديث الثاني و العشرون :

(لا تزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ما صنع فيه، وعن ماله فيما أنفقه).

الحديث الثالث و العشرون :

(إن الله عزّ وجل جعل حسنة ابن آدم بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، إلاّ الصّوم فالصّوم لي وأنا أجزي به ، وللصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم القيامة، و لخلوف فم الصّائم أطيب عند الله من ريح المسك).

*** * ***

الحديث الرابع والعشرون :

(يا رسول الله، أرأيت ما يعمل النّاس فيه، أفي أمر جرت به المقادير فجفت به الأقلام ، أم في أمر نستأنفه ؟ قال : بل في أمر جرت به المقادير وجفت به الأقلام. قالا: ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال اعملوا فكل مسير لما خلق له. قالا: الآن نجد ونعمل).

*** * ***

الحديث الخامس و العشرون :

(أنا أوّل من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر بين يديّ فأعرف أمتّي من بين الأمم ، وأنظر عن يميني فأعرف أمتّي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتّي من بين الأمم، وأنظر خلفي فأعرف أمتّي من بين الأمم، قال رجل : يا نبي الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم، ما بين نوح إلى أمتك؟ قال : نحن غرّ محجّلون من آثار الوضوء، ولا يكون أحد من بين الأمم كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيماتهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السّجود ، وأعرفهم بنور يسعى بين أيديهم).

*** * ***

الحديث السادس و العشرون :

(أعطيت أمّتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي : أمّا واحدة : فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا. وأمّا الثانية: فإنهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك. وأمّا الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في ليلهم ونهارهم. وأمّا الرابعة: فإن الله يأمر جنته أن استعدي، وتزيني لعبادي، فيوشك أن يذهب عنهم نصب الدّنيا وأذاها، ويصيروا إلى رحمتي وكرامتي. وأمّا الخامسة: فإذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا .قال : فقال قائل، هي ليلة القدر يا رسول الله ؟ قال: لا، ألم تر إلى العمّال إذا فرغوا من أعمالهم وفّوا).

* * *

الحديث السابع و العشرون :

(كان رجل سيئ الظّنّ بعمله، فقال لأهله: إذا متّ فحرقوني، ثم اطحنوني، ثم اذروني في الريح، في يوم عاصفة، فإنه إن قدر علي لم يغفر قال : ففعل ذلك به، فجمعه الله فقال: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: مخافتك، فال: فغفر له).

* * *

الحديث الثامن و العشرون :

(خطبنا رسول الله (ص) آخر يوم من شعبان فقال : يا أيها الناس، إنه قد أضلكم شهر عظيم مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، فرض الله صيامه، وجعل قيامه تطوعا، فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة، فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وشهر يزاد في

رزق المؤمن فيه ، ومن فطّر صائما كان كمعتق رقبة، ومغفرة لذنوبه، قيل: يا رسول الله أليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ؟ قال : يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائما على مذقة لبن ، أو تمرة أو شربة ماء، ومن شبّع صائما كان الله مغفرة لذنوبه، وسقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النّار، ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النّار) .

* * *

الحديث التاسع والعشرون:

(اللهم صل عليه، واغفر له، وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم مثواه ومنقلبه، واغسله بماء وثلج وبرد ونقه من ذنوبه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله وقه عذاب القبر).

* * *

الحديث الثلاثون :

(كنا جلوسا عند رسول الله (ص) فنظر إلى القمر ليلة بدر فقال: إنكم راءون ربكم عزّ وجلّ كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا، ثم تلا رسول الله (ص) : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾) .

* * *

الحديث الحادي والثلاثون:

(شعبان بين رجب وشهر رمضان، تغفل الناس عنه، ترفع فيه أعمال العباد، فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم، قلت : أراك تصوم الاثنين والخميس لا

تدعهما، قال : إن أعمال العباد ترفع فيهما، فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم).

* * *

الحديث الثاني والثلاثون :

(مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تميلها الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا. ومثل المنافق كمثل الأرزة المجذوبة على الأرض، حتى يكون انجعافها مرة).

* * *

الحديث الثالث والثلاثون :

(اللهم اغفر لحيّنا، وميّتنا ، وشاهدنا، وغائبنا ،وصغيرنا، وكبيرنا، وذكرنا، وأنثانا. وحدث بهؤلاء الكلمات وزاد معهن : اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان).

* * *

الحديث الرابع والثلاثون:

(إن الحلال بين وإن الحرام بين، وإن بين ذلك أمورا متشابهات ، وربما قال مشتبهة، وسأضرب لكم في ذلك مثلا :إن الله تعالى حمى حمى ، وإن حمى الله محارمه، وإنه من يرع حول الحمى يوشك أن يخالط الحمى، وربما قال : وإنه من يخالط الريبة يوشك أن يجسر).

* * *

الحديث الخامس والثلاثون:

(كان في حائط بالمدنية على قفة البئر، مدليا رجليه في البئر، فدق الباب أبو بكر ، فقال له رسول الله(ص) : ائذن له وبشره بالجنة. فدخل أبو بكر فدلا رجليه في البئر ، ثم إن عمر بن الخطاب دق الباب فقال: ائذن له وبشره

بالجنة، ففعل، ثم دق الباب عثمان، فقال رسول الله (ص): ائذن له وبشره بالجنة، وسيلقى بلاء، ففعل ، ودخل عثمان وعيناه تذرفان).

* * *

الحديث السادس والثلاثون:

(أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة جالس فلما رآني أقبلت قال: هلك الأكثرون ورب الكعبة، هلك الأكثرون ورب الكعبة قال: فأخذني غم، وجعلت أتنفس فقلت: هذا شيء حدث، قلت: من هم فداك أبي وأمي؟ قال: الأكثرون إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وخلفه، وقليل ما هم، وما من رجل يموت ويترك إبلا أو غنما، لم يؤد زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، حتى تطؤه بأظلافها، وتنطحه بقرونها حتى يقضى بين الناس ثم يعود أولها على آخرها).

* * *

الحديث السابع والثلاثون:

(يا رسول الله، إني في غائط مضبة، وإنه عامة طعام أهلي؟ فلم يجبه صلى الله عليه وسلم، فجعلنا نقول: عاوده، فلم يجبه، ثم عاوده الثالثة فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله لعن أو غضب على قوم من بني إسرائيل، فمسخوا دواب يدبون في الأرض، ولست آكلها، ولا أنهى عنها).

* * *

الحديث الثامن والثلاثون:

(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قالوا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: يتمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف).

الحديث التاسع والثلاثون:

(يا من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته).

* * *

الحديث الأربعون:

(إن لي أسماء. أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده أحد).

قائمـــة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1/ القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

2/ الشحامي (أبو منصور عبد الخالق بن زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي)، أربعون حديثا عن أربعين شيخا عن أربعين صحابيا، حققه وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمان بن عيسى الباتني، قدم له عبد القادر الأرناؤوط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائـــر، الطبعة الأولى، 2002 .

ثانيا: المراجع :

3/ أحمد محمد العليمي، طرائق النبي في تعليم أصحابه، سلسلة الصحوة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2003.

4/ أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 212 ، 1996.

5/ أحمد محمد النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1982.

6/ الأصفهاني (أبو الفرج) الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت لبنان، الطبعة السادسة، 1983.

7/ أنور المرتجى، سيمياء النص الأدبي،

8/ بيير جيرو، علم الإشارة السيميولوجيا ، ترجمة د/ مندر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992.

9/ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبيين، تحقيق د/ عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، الطبعة الرابعة، 1975.

10/ الجرجاني (عبد القاهر) دلائل الإعجاز، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ؟ 1982.

11/ جسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبد الرحمان محمد أيوب، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط ؟ 1945.

12/ ابن جني (أبو الفتح عثمان) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط ؟ ت ؟.

13/ الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ط ؟ 1992.

14/ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1986.

15/ حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية،1980 .

16/ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، لبنان، 1971

17/ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، سلسلة كلية، دار القصبة للنشر، الجزائر،2000 .

18/ الذهبي (شمس الدين)، سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985 .

19/ الرافعي (مصطفى صادق)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط ؟ ،2003 .

20/ رمزي نعناعة، من هدي السنة، دار الشهاب ، الجزائر، ط ؟ ، ت؟ .

21/ ستيفان أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د/ كمال محمد بشر، مكتبة الشباب القاهرة، 1975.

22/ السكاكي، مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط؟، ت ؟ .

23/ سيبويه ،الكتاب، تحقيق د/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، 1991.

24/ السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.

25/ الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أبي مصعب محمد سعيد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة،1995.

26/ الصابوني، من كنوز السنة، دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف، مكتبة رحاب ، الجزائر، الطبعة الثانية، 1986.

27/ صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر،2001.

28/ طه حسين، كتب ومؤلفون، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1984.

29/ عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985.

30/ عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط؟ 1975.

31/ عبد الرحيم العباسي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عالم الكتب، بيروت، لبنان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط؟ 1947.

32/ عز الدين علي السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،1986.

33/ عزمي إسلام ، مفهوم المعنى: دراسة تحليلية، حوليات كليات الآداب، جامعة الكويت، 1985.

34/ ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى شويمي، المكتبة اللغوية العربية، ط ؟ 1964.

35/ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ت؟.

36/ فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش،

37/ ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، شرح ومراجعة سعيد،محمد اللحام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1963.

38/ القرضاوي، كيف نتعامـــل مع السنة النبوية، معالم وظوابط، الدار؟ ط ؟ ت ؟.

39/ المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1963.

40/ محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ت ؟

41/ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب ط ؟ 1999.

42/ ابن منظور، لسان العرب، سلسلة تراثنا، القاهرة ط؟ ت ؟.

43/ ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة د/ سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

44/ النووي، شرح الأربعين النووية، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط ؟ ت ؟.

45/ هربرت باركلي ، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة د/ قاسم المقداد، وزارة الثقافة، سوريا، الطبعة الأولى، ت؟ .

ثالثا : المقالات والمجلات :

1/ سعيد علوش ، المقاربة التداولية ، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، 1986.

2/ محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني و نظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، العدد الأول، معهد اللغة العربية وأدابها ، جامعة تلمسان، الجزائر.

3/ محمد محمد يونس علي ، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول، 2003.

4/ طالب هاشم طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، 98/99.

رابعا: الرسائل الجامعية :

- راضية بوبكري، الأحاديث النبوية في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، قسم الأدب العربي، 2001-2002.

خامسا: المراجع الأجنبية :

1/ Jacques-Moeschler et Antoine Auchlin, Introduction à la inguistique contemporaine , librairie Armand Colin, Paris , 2001.

2/ Catherine Orecchioni , La Conversation , collection Mémo, Seuil, 25, Paris, 1996.

3/ Oswald Ducrot et Jean-Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage.

4/ Greimas et Courtés, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris , 1993

5/ Marie-noëlle Gary-Prieur, Les termes clés de la linguistique, collection Mémo, Seuil, 123 , Paris 1999.

6/ Petit larousse. Paris. Edition 1987

7/ Cathrine Orecchioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage , librairie Armand Colin, Paris ,1980.

8/ Eric Grillo, La philosophie du langage collection Mémo, Seuil, 77, Paris, 1997.

الملخص

لهذا البحث مقولة تتلخص في إمكان الاعتراف للحديث النبوي الشريف للقراءة التداولية، بما تحمله هذه القراءة من أدوات ومبادئ، لذا جاء عنوانه على هذا النحو : (الأربعون حديثا للشحامي، من منظور لساني تداولي).

وقد ضمت دفتاه فصولا ثلاثة تتقدمها مقدمة ومدخل، ويعقبها خاتمة وملحق.

جعلت المقدمة فيه لما يجب أن تكون عليه كل مقدمات البحوث العلمية الأكاديمية وذلك كالإشارة إلى الأسباب الداعية إلى اختيار الموضوع رأسا، وكذكر المنهج المعتمد في أثناء دراسته و ...إلخ.

وطرقت في المدخل مفهوم التداولية لغة واصطلاحا، وتعريف المدونة، مجال الإجراء، كاتبا ونصا.

وسعيت في الفصل الأول إلى رصد مفاهيم التداولية العامة في الدرسين العربي والغربي، وجعلت هذا آخرا كي يسلمني إلى فكرة الفصل الموالي، وقد كانت مفاهيمها العامة حاضرة بقدر في اهتمامات بلاغيينا القدامى، أما الدرس الغربي فقد توفر على ما يمكن عده أصولا ومؤسسات للطرح التداولي الذي تشير دراسات إلى أنه لم يبلغ أشده بعد.

وعقدت الفصل الثاني للحديث عن إسهامي " أوستين Austin" و" سورل Searle " ، في هذا الحقل اللساني تأسيسا على أنهما تقدما به تقدما له خطره من خلال خروجهما بنظرية الأفعال الكلامية (Actes de Langage) .

وأما ثالث الفصول فاجتهدت في أن أخوض فيه غمار التطبيق على نص المدونة الحديثية، ساعيا إلى البرهنة على وجود الفكرة البراغماتية في تشكيل الخطاب الدعوي والحديث الشريف منه.

وكان منهجي في هذا التطبيق وفقا لمنهجي " أوستين Austin" و" سورل Searle ".

وأنهيت هذا البحث بما انتهى إليه من نتائج يفترض أن تجيب عن هذا السؤال: وماذا بعد هذه الدراسة ؟

وذيلته بملحق يتوفر على الأربعين حديثا الشحامية عساه ينفع قارئا أو دارسا.

RESUME

Cette recherche à pour but de faire apparaître que la pragmatique linguistique, à la possibilité d'être appliquée aux hadiths du prophète (que le salut sur lui) avec tous ce que peut comporter cette méthode comme moyens et principes, et c'est pour cela que le titre de cette recherche à été choisi comme suit: "Les Quarante Hadiths de "Chahami" du point de vue linguistique pragmatique ".

Cette recherche comporte trois chapitres, précédée par une préambule et unè introduction et achevée par une annexe. Elle a été faite telle son introduction soit dans le sillage de toute introduction, relative à un sujet scientifique, ainsi, j'ai relaté les causes conduisant au choix du sujet, le méthode appliquée......

J'ai cité dans mon introduction, la définition de la pragmatique, linguistiquement et conventionnellement, ainsi que j'ai essayé de faire connaître ou décrire le texte des "Quarante Hadiths" et son auteur .

Le premier chapitre a été consacré aux notions générales de la pragmatique, dans les deux études occidentales et arabes. Ces notions ont été présentées dans les préoccupations des anciens rhétoristes arabes, tandis que les occidentaux sont les fondateurs de la pragmatique linguistique, laquelle n'a pas encore atteint son apogée.

Dans le second chapitre, j'ai parlé des apports, dans ce domaine, des deux linguistes "Austin" et "Searle" vu que c'est à eux que revient le mérite d'avoir découvert "la théorie des actes de langage.

Dans le troisième chapitre, je me suis efforcé à appliquer, cette théorie aux "Quarante Hadiths".

J'ai terminé par un ensemble de résultats conséquents et une annexe comportant le texte des "Quarante Hadiths"

الفهـــــرس